الإسلام والغرب



الأستاذ الدكتور
عبد الودود شلبي

مكتبة الآداب
٤٢ ميدان الأوبرا - القاهرة ت: ٢٩٠٠٨٦٨

الإسلام والغَرْب

خواطر .. وتجارب .. وذكريات

الأستاذ الدكتور

عبد الودود شلبى

الناشر

مكتبة الآداب

٤٢ ميدان الأوبرا ـ القاهرة – ت: ٣٩٠٠٨٦٨

الطبعة الأولى ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م
مكتبة الآداب (على حسن)

١

لماذا يخافون الإسلام؟!

قراءة فى صحف الغرب

فى عام ١٩٧٨ نشرت صحيفة الصنداى تلغراف اللندنية THE SUNDAY TELEGRAPH مقالا[1] تحت عنوان: مواجهة الخطر الإسلامى (MEETING THE ISLAMIC THREAT)، وفى هذا المقال دعت الصحيفة أوروبا وأمريكا إلى الإسراع باتخاذ الإجراءات الفعالة وفى مقدمتها - السلاح وإعلان الحرب طبعًا - لإيقاف هذا المد الإسلامى قبل أن يستفحل خطره ويهدد شعوب الغرب[2]! لقد تصوروا الكنائس بعد أن خُلعت صلبانها ليوضع فوقها الهلال! كما تصوروا مذابح[3] هذه الكنائس بعد أن تحولت إلى «قبلة» فى اتجاه مكة إلى جهة الشرق، كما تصوروا الإبل ورُغاءها يجلجل فى ركن الخطباء بحديقة «هايد بارك» (HYED PARK)

أما فى ألمانيا الغربية .. فقد نشرت مجلة «دير شبيجل» الشهيرة سلسلة من المقالات تحت عنوان «القرآن وحده هو الذى

---

(١) العدد الصادر فى ١٧/ ١٢/ ١٩٧٨م

(٢) أى قبل أحداث الحادى عشر من سبتمبر بأربع وعشرين سنة.

(٣) مذبح الكنيسة: أشبه بالقبلة فى المسجد.

يقود»، وقد حذرت هذه المجلة من الصحوة الإسلامية التى لو قُدِّر لها النجاح فسوف لا تقف فى طريقها أية قوة بعد ذلك فى العالم[1]!

وفى ألمانيا الغربية أيضًا كتبت صحيفة «BONNER SONN-TAGS BIATT»، فى عددها الصادر فى اليوم الرابع والعشرين من شهر أغسطس ١٩٨٠م هذا المقال الذى طفح حقدًا وكراهية:

«إن المواطنين خائفون ... خائفون من المسلمين .. وهؤلاء المواطنون الفزعون تتمثل أمامهم صورة إيران التى يقرأون عنها يوميًا أخبارًا جديدة تثير فى نفوسهم الذعر.

ويرى أحد علماء الطبيعة أنه أحب لديه أن يُبنى مفاعل ذرى أمام باب منزله من أن يُبنى مركز إسلامى، وذلك لأن المفاعل الذرى يمكن أن يُحسَب حسابه؛ وهو يعنى بذلك فى المقابل أن المرء لا يستطيع أن يتنبأ بما يأتى من أخطار من جانب المسلمين.؟!

ومنذ عدة سنوات تنشر الصحافة الألمانية اتهامات قاسية ضد المدارس القرآنية، تلك المدارس التى تنشر ـ كما يزعمون ـ التعصب الدينى الذى يؤدى بدوره إلى التحريض ضد كل من يكون له تفكير مختلف، ولا يقتصر الأمر على الجهل التام بالتعاليم الأساسية للإسلام فحسب، بل نجد أيضًا ـ كما يعترف الجانب الكاثوليكى ـ أن مستوى معلومات المسيحيين الألمان عن «القيم والعادات الدينية والعادات الحياتية فى العالم الإسلامى

---

(١) العدد ٤١ الصادر يوم ٣/ ١٠/ ١٩٧٧.

ضعيف جداً»، ولذلك تأخذ الجماهير بدون أى نقد الأمثلة المزعومة لأسلوب الحياة وطريقة التفكير الإسلامية، والتى تنشرها الصحف فى أخبار الفضائح المصْطَنَعة، واحد الأمثلة على هذه الأخبار هو المدارس القرآنية، وفيما يلى بعض النماذج مِن عناوين مثل هذه المقالات: «التلاميذ يُضربون فى المدارس القرآنية».

- «خصوم المدارس القرآنية يجوز قتلهم».

- «الحركات السرية لله فى ألمانيا».

- «بالقرآن والهراوات الحرب الصليبية تقودها المراكز الإسلامية فى ألمانيا الغربية». !

ولم تتخلف الصحف الفرنسية عن المشاركة فى هذه الحملة؛ فقد نشرت صحيفة لوموند «LE MONDE» سلسة من المقالات المثيرة تحت عنوان «ألف مليون مسلم يستعدون للموت فى سبيل الله»! وأن على الغرب أن يستعد - من اليوم - قبل أن يُفاجأ بعاصفة إسلامية تدمر فى طريقها كل شىء..!!

هذا الرعب الذى يتملك أوروبا، ومعها أمريكا، هل يوجد ما يبرره فى الواقع؟ وهل يملك المسلمون القوة وأسلحة الدمار الشامل؟ أم أنها مغالطة كتلك المغالطات التى تَفَنَّنت أوروبا وأمريكا فى إشاعتها وإطلاقها من وقت إلى آخر؟ أم أن الغاية من هذه المغالطات والأكاذيب تخويف الشعوب من الإسلام والمسلمين؛ حتى لا يتأثروا بهذا الدين الذى بدأ يفرض وجوده فى

بلاد الغرب، وبدأ الناس يدخلون فيه أفواجًا وأفرادًا إيمانًا بأنه الدين الحق؟!

هذه الأسئلة وغيرها تجد إجابتها فيما يلي من حلقات هذا البحث.

* * *

٢

جذور الكراهية

يقول الأستاذ محمد أسد[١]:

«إن الحروب الصليبية هى التى حددت ـ فى المقام الأول، والمقام الأهم ـ موقف أوروبا من الإسلام؛ لقد كانت الحروب الصليبية حاسمة؛ لأنها حدثت فى أثناء طفولة أوروبا، فى العهد الذى كانت فيه الخصائص الثقافية الخاصة قد أخذت تفرض نفسها، وكانت ولا تزال فى طور تشكُّلها. وإن الحَمِيَّة الجاهلية العامة التى آثارتها تلك الحروب لا يمكن أن تقارَن بشىء خَبَرَتْه أوروبا من قبل، ولا اتَّفَقَ لها من قبل . . . لقد اجتاحت القارةَ كلَّها موجةٌ من القسوة كانت عنفوانًا تَخَطَّى الحدود التى بين البلدان وبين الشعوب، ولقد اتفق فى ذلك الحين ـ وللمرة الأولى فى التاريخ ـ أنّ أوروبا أدركت فى نفسها وحدةً، ولكنها وحدة فى وجه العالم الإسلامى. ويمكننا أن نقول من غير مبالغة: إن أوروبا وُلدت من روحِ الحروب الصليبية . . وقد وُلدت فى أثناء الحروب الصليبية فكرةُ المدنية الغربية، وكانت تلك المدنية الغربية

---

(١) محمد أسد: اسمه الأصلى «ليوبولد فايسش» كان يهوديًا ثم أسلم. وقد اشتغل فى عدة أقطار إسلامية منها: السعودية وباكستان. وهذه الفقرات ننقلها من كتابه «الإسلام على مفترق الطرق» فصل: شبح الحروب الصليبية ص ٥٠ ـ ٦٠ الطبعة الرابعة.

عداوةً للإسلام، ولقد كان فى الجانب الإسلامى دائمًا رغبةٌ مخلصة للتسامح، ولكنه لم يَلْقَ أبدًا المعاملةَ بالمثل».

ويقول مالك بن نبى[1]:

«... إن أوروبا التى جعلت نفسَها المشرفَ الوحيد على الجنس البشرى لم تعترف ـ منذ كانت مدنيتها لا تزال فى المهد، ترضع اللبن العربى ـ بأية مدنية إسلامية، وكما يقول جوستاف لوبون ـ معللاً السبب الذى يدفع علماء أوروبا إلى إنكار هذا الجميل برغم أنهم يجب أن يتعدوا عن التعصب ـ يقول:

«الواقع أن استقلال الرأى ظاهرىٌ أكثر منه حقيقىٌ، وذلك لأننا لسنا أحرارًا قط فى تفكيرنا حول بعض المعلومات. فقد استمر التعصُّب الذى ورثناه ضد الإسلام وزعمائه خلال قرون عديدة حتى أصبح جزءًا من تركيبنا العضوى»[2].

إن النصرانية على حد قول الكاتب العالمى «حيدر بامات»[3] لا تزال تواجه الإسلام بحقد وازدراء يمليه عليها التعصب. ويتجلى هذا على وجوه كثيرة، ومنها ما نرى فى الفقه الدولى، أو القانون الدولى العام الذى لا يُعامِلُ الأمم الإسلامية معاملةً مساويةً للأمم النصرانية.

---

(١) من كبار المفكرين المسلمين فى الجزائر وقد تثقف ثقافة فرنسية. وتوفى فى عام ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٤م بعد أن اختير عضواً فى مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف. ومن أهم كتبه: الظاهرة القرآنية.

(٢) مستقبل الإسلام. مالك بن بنى، ص ٢٩، طبعة بيروت.

(٣) مجالى الإسلام. ص ٥٠٠. مطبعة الحلبى ـ القاهرة.

ومنذ نشأة القانونى الدولى الحديث كان من المقطوع به اعتبار الإسلام خارج العلاقات الدولية، وعدم الاعتراف بتمتع الشعوب الإسلامية بالحقوق التى يقررها هذا القانون. وعلى هذا الأساس لم يكن الفقهاء الأوروبيون راغبين فى اعتبار الدولة العثمانية جزءًا من الجماعة الدولية. فـ «جروسيوس» أبو القانون الدولى قال بوجوب عدم معاملة الشعوب غير المسيحية على قدم المساواة مع الشعوب المسيحية.

و«جنتيلس» هاجم فرنسواه الأول ملك فرنسا لعقده معاهدة مع السلطان سليم العثمانى فى عام ١٥٣٥م. ومع أن هذه المعاهدة أقامت سلامًا بين الدولتين مدةَ حياة الملكين، ومع أنها أعفت الرعايا الفرنسيين من دفع الجزية التى كانت مقررة على غير المسلمين إذا ما أقاموا فى دار الإسلام، فقد كانت هذه المعاهدة مرفوضة؛ لأنها مع مَلِكِ أمةٍ غير مؤمنة»[١]!!

كان الكونت «هنرى دى كاسترى» من كبار الموظفين بالجزائر، برغم سنّه المبكرة، وكان يسير ممتطيًا صهوة جواده، ويسير خلفه ثلاثون من فرسان العرب الأقوياء، فخورًا بمركزه، وكان يملؤه الغرور، للمدح الذى يزجيه إليه هؤلاء الذين تحت إمرته.

---

(١) انظر فى هذا الموضوع «المجتمعات الدولية الإقليمية» تأليف الدكتور حافظ غانم. فصل: «العائلة الدولية كانت تستبعد دار الإسلام من حظيرتها»، وكتاب «كفاح دين» تأليف المفكر الإسلامى الشيخ محمد الغزالى ص ١١٢ ـ ١١٣ الطبعة الرابعة.

وفجأة وجدهم يقولون له، فى شىء من الخشونة، وفى كثير من الاعتداد بالنفس:

«لقد حان موعد صلاة العصر» . .

ودون أن يستأذنوه في الوقوف، ترجَّلوا واصطفُّوا للصلاة متجهين إلى القبلة، ودوَّت فى أرجاء الصحراء كلمةُ الإسلام الخالدة:

«اللهُ أكبر . . .» . .

شعر الكونت فى هذه اللحظة بشىء من المهانة فى نفسه، وبكثير من الإكبار والإعجاب لهؤلاء الذين لا يبالون به، ذلك لأنهم اتجهوا إلى الله وحده، بكل كيانهم، وبدأ يتساءل: ما الإسلام؟ أهو ذلك الدين الذى تصوَّره الكنيسة فى صورة بشعة تنفر منها النفس، ولا يطمئن إليها الوجدان . . ؟

وبدأ يدرس الإسلام، وتغيرت فكرته عنه، ورأى من واجبه أن يعلن ما اهتدى إليه، فكان كتاب: «الإسلام خواطر وسوانح»[1].

وفى هذا الكتاب الطريف تحدث عن كثير من جوانب الإسلام، سواء أكان ذلك فيما يتعلق بالرسول ﷺ، أم فيما يتعلق بالتعاليم الإسلامية، وقد تحدَّث ـ فضلاً عن ذلك ـ عَن آراء مواطنيه، خصوصاً القدماء منهم فى صورة السخرية والتهكم.

---

(١) ترجم هذا الكتاب إلى اللغة العربية المستشار أحمد فتحى زغلول شقيق الزعيم المصرى سعد زغلول، وقد ظهرت هذه الطبعة فى العشرينات من القرن الماضى.

ومن المستغربات قولهم: إن محمداً ـ الذى هو عدو الأصنام ومبيد الأوثان - كان يدعو الناسَ لعبادته فى صورة وثَنٍ من ذهب، كما كان يعتقد: «الكرلوفنجيون»!!

بل لقد أغرق خيالهم فى الضلال، فذهبوا إلى أبعد من ذلك... فذهبوا إلى أن صورة «ماهومد»[1] كانت تُصنع من أنفس الأحجار والمعادن بأحكم صُنع وأدقّ إتقان!!!».

«أولئك كتّاب ما قصدوا التأريخ، ولكنهم أرادوا خدمة المقصد المسيحى الحكيم كما يقولون، وكان سلاحهم الوحيد فى تأييد سواقط حججهم، أن يشبعوا خصمهم سبًّا وشتمًا، وأن يُحَرّفوا فى النقل مهما استطاعوا». وهذه أكبر جناية ضد الحقيقة والتاريخ، ولا يُعقل أن يُنسب هؤلاء إلى المؤرخين أو المحققين.!

إن الجهل أبو المصائب، بل هو السبب الأول للكراهية والتعصب، بل يقول أحد المؤرخين ـ أظنه «جوستاف لوبون» ـ: إن الجهل كان فى مقدمة الأسباب للحروب الصليبية التى أكلت اليابس والأخضر، وراح ضحيتها الملايين من البشر على مدى أكثر من قرنين من الزمن.

* * *

فى مدرسة «ستوديو سكول أوف إنجليش» «STODIO SCHOOL OF ENGLISH» فى مدينة «كمبردج» جلستْ بجوارى

---

(١) المقصود «محمد» ﷺ.

امرأة إيطالية فى منتصف العمر، كان اسمها «إلزا» وتعمل سكرتيرة فى إحدى السفارات المعتمدة فى مدينة لندن.

لقد فوجئت بهذه السيدة تسألنى هذا السؤال: هل أنت كاثوليكى؟

أجبتها وأنا ابتسم: لا.. فأنا مسلم. وهنا كانت المفاجأة الكبرى سؤالها: مسلم كاثوليكى أم مسلم بروتستانتى؟!

طلبت الانتظار حتى ينتهى الدرس، وفى «الكافتيريا» المخصصة للراحة وتناول الشاى والقهوة دارَ بينى وبينها حوار عن الفرق بين الإسلام والمسيحية من جهة؛ وبين «الكثلكة» و«البروتستانتية» من جهة أخرى!

إن السيدة «إلزا» لم تسمع شيئًا طوال حياتها عن «مارتن لوثر» ولا عن المبادىء التسعة والخمسين التى ألصقها على أبواب كنيسة «ويتنبرج»، بل لم تكن تعرف عن «الكاثوليكية» شيئًا غير كنيسة القديس بطرس والبابا «بولس السادس»[1] فإذا كانت لا تعرف أبسط مبادىء دينها، فهل يُنتظر منها أن تعرف شيئًا عن الإسلام والمسلمين فى هذه الدنيا؟!

لقد أتقنت الكنيسة فنَّ النظام؛ فلا ارتجال فيها، كل شىء فيها مُعَدٌّ مرتب منسق، قد بُحث عن رَوِية، وأُعِدّ إعدادًا تامًا[2].

---

(١) هذا فى عام ١٩٦٩م.

(٢) انظر: أوروبا والإسلام. د. عبد الحليم محمود. ص٤١.

وكان مما أعدَّتْهُ مشروعان كبيران؛ أحدهما للتبشير، والثانى لصد الهجوم عن الديانة المسيحية.

أما فيما يتعلق بالتبشير؛ فإنه من الأولَيات عندها أن يعرف المبعوثُ لغةَ المُرْسَل إليهم، ويدرس عاداتهم وتقاليدهم، وديانتهم ومواطن الضعف فيهم، والوسائل التى تجذبهم، وأن يعلم ـ فضلاً عن ذلك ـ بعض مبادىء الطب، ويعلم قبل ذلك وبعده كيفيةَ الهجوم على الديانة المتوطِّنة، وكيفية الدعوة لديانته.

أما المشروع الآخر ـ وهو الذى يعنينا هنا ـ فهو على الخصوص يتركز فى دراسة مستمرة متجددة فى أحدث الوسائل لتشويه ديانات الآخرين.

وما نُشر من أضاليل عن الإسلام، لا يُحْصَر ولا يُعَدُّ، إنها أضاليل تُنشر متابعة متكررة، تتردد فى صور مختلفة، وينتهى بها التكرار والترديد إلى إيمان من تُنشر عليهم بها، وتبلغ بهم الصفاقة إلى حَدٍّ أن يعكسوا الحقائق عكساً تاماً؛ فالدين الإسلامى مثلاً ـ وهو دين التوحيد الخالص، ودين التنزيه التام ـ يشيعون عنه أنه دين عبادة الأوثان . . وعبادة محمد[1].

ويكررون ذلك فى مختلف الأمكنة والأزمنة، وينتهى المسيحيون بالاعتقاد بأن هذا الدين إنما هو دين عبادة الأوثان.

وهكذا تمضى الدعاية تضليلاً، وتشويهاً وعكساً للحقائق.

---

(١) الدعوة الإسلامية ومشكلاتها فى بلاد الغرب. د. عبد الودود شلبى. مكتبة الراية ـ القاهرة.

ومن أهم الوسائل أيضًا لتحصين المسيحية ما يسمُّونه «نظام الحرمان من الدين المسيحى»، وهو نظام يَسْهُل على الكنيسة بمقتضاه أن تُحَرِّم قراءة أى كتاب ترى فيه خطرًا على المسيحية؛ سواء كان هذا الكتاب هجومًا عنيفًا على المسيحية، أم دعايةً بارعة للإسلام، أو حتى نَمَطًا ممتازًا من الدعاية القوية لسعة الأفق وتحرير الفكر.

وقد استعملت الكنيسة هذا الحقَّ فى شأن كثير من الكتب الممتازة، واستعملت هذا الحق أيضًا فى شأن كثير من الكتَّاب، وكان موقفُها من كل كاتب لا يمكنها أن تستولى عليه، بوسيلة الرغبة أو بوسيلة الرهبة، أن تُحَرِّم قراءة كتبه، وأن تحرمه من دخول جنة ربه. . !!!

ونحن المسلمين ... عندنا الإمكانيات، وعندنا الرجال، ونستطيع لو اتفقنا على استراتيجية موحدة أن نقضى على هذا الزيف فى مهده، وأن نرفع عن أعين «الغرب» تلك الغشاوة التى لا تزال تُعَشِّش فى عقله وقلبه!!!

* * *

٣

كيف قامت الحروب الصليبية؟

فى مدينة «كليرمونت فيران» بفرنسا فى عام ١٠٩٥ ميلادية.. وقف البابا الدموى السفاح «أوربانوس الثانى» يخطب فى جموع الوحوش والقتلة قائلاً:

«أيها الجند المسيحيون!! لقد كنتم تحاولون من غير جدوى إثارة نيران الفتن والحروب فيما بينكم .. أفيقوا ..! فقد وجدتم اليوم داعيًا حقيقيًا إليها .. فاذهبوا الآن .. وأزعِجوا البرابرة .. اذهبوا وخلِّصوا البلاد المقدسة من أيدى الكفار أى المسلمين!!!

أيها الجند .. أنتم الذين كانوا سلع الشرور والفتن ... الا هُبُّوا ... وقدِّموا قواكم وسواعدكم ثمنًا لإيمانكم .. هذا هو الوقت الذى تبرهنون فيه أن فيكم قوة وعزمًا وبطشًا وشجاعةً ... وإذا كان من المحتَّم أن تثأروا لأنفسكم، فاذهبوا واغسلوا أيديكم بدماء أولئك المسلمين الكفار ..!!!

واذكروا جيداً قول المسيح: «ليس مِنِّى مَن يحب أباه وأمه أكثرَ مِن محبته إياى..» أما الذى يترك بيته ووطنه، وأمه وأباه وزوجه وأولاده وممتلكاته، فسيخلد فى النعيم، وسيجزيه الله الجزاء الأوفى..

إنكم إن انتصرتم على عدوكم كانت لكم ممالك الشرق ميراثًا... وإن أنتم خُذلتم فستموتون حيث مات اليسوع !!!.

إنها ـ أى هذه الحرب ـ ليست لامتلاك مدينة واحدة، بل هى لامتلاك أقاليم آسيا بجملتها مع غناها وخزائنها التى لا تُحصَى ..!! فاتخذوا حجة بيت المقدس وخلِّصوا الأراضى المقدسة وامتلكوها أنتم خالصةً لكم من دون أولئك الكفار .. فهذه الأرض كما قالت التوراة تفيض لبنًا وعسلاً[1] ....».

* * *

تُرى هل تغيَّر شىء منذ ذلك التاريخ وحتى هذا اليوم؟

ألم يتحول حلف «الناتو» أو حلف شمال الأطلسى إلى حلفٍ لمواجهة الإسلام على امتداد ساحة العالم فى الشرق والغرب؟

يقول «أيوجين ورستو» رئيس قسم التخطيط فى وزارة الخارجية الأمريكية ومساعد وزير الخارجية الأمريكية، ومستشار الرئيس جونسون لشئون الشرق الأوسط حتى عام ١٩٦٧م .. يقول:

«يجب أن ندرك أن الخلافات القائمة بيننا وبين الشعوب العربية ليست خلافات بين دول أو شعوب، بل هى خلافات بين الحضارة الإسلامية والحضارة المسيحية[2]. لقد كان الصراع محتدمًا بين المسيحية والإسلام منذ القرون الوسطى، وهو مستمر حتى هذه

---

(١) صلاح الدين الأيوبى ـ د. أحمد بيلى.

(٢) انظر فى هذا الموضوع كتاب «صراع الحضارات» الذى كتبه «صمويل هينجتون» لترى أن ما يقع الآن من أحداث إنما هو تطبيق عملى لهذه النظرية الجهنمية.!

اللحظة، بصورٍ مختلفة .. ومنذ قرن ونصف خضع الإسلام لسيطرة الغرب، وخضع التراث الإسلامى للتراث المسيحى.

إن الظروف التاريخية تؤكد أن أمريكا إنما هى جزء مكملٌ للعالم الغربى؛ فلسفته، وعقيدته، ونظامه .. وذلك يجعلها تقف معادية للعالم الشرقى الإسلامى بفلسفته وعقيدته المتمثلة فى الدين الإسلامى، ولا تستطيع أمريكا إلا أن تقف هذا الموقف فى الصف المعادى للإسلام، وإلى جانب العالم الغربى والدولة الصهيونية؛ لأنها إن فعلت عكس ذلك فإنها تتنكر للغتها وفلسفتها وثقافتها ومؤسساتها[1] .. !!!

على أن هذا وحده لا يكفى لإظهار ما يكنه الأوروبيون نحو الإسلام خاصةً .. وهنا وهنا فقط، يعنى فيما يتعلق بالإسلام، لا نجد الموقف الأوروبى موقف كرهٍ فى غير مبالاة فحسب، كما هو الحال فى موقفه من سائر الأديان والثقافات، بل كرهًا عميق الجذور، يقوم فى الأكثر على جذور من التعصب الشديد، وهذا الكره ليس عقليًا فحسب، ولكنه يصطبغ أيضًا بصبغة عاطفية قوية. !

قد لا تتقبل أوروبا تعاليم الفلسفة البوذية أو الهندوكية، ولكنها تحتفظ دائمًا فيما يتعلق بهذين المذهبين بموقف عقلىّ متزنٍ ومبنىّ على التفكير .. إلا أنها حالما تتجه إلى الإسلام يختلّ التوازن، ويأخذ الميل العاطفى فى الترسّب..

---

(١) المؤامرة ومعركة المصير ـ صفحات ٨٧ ـ ٩٤. المرحوم سعد جمعة رئيس وزراء الأردن السابق. القاهرة: «المختار الإسلامى».

حتى أن أبرز المستشرقين الأوروبين جعلوا من أنفسهم فريسةَ التحزُّب غير العلمى فى كتاباتهم عن الإسلام، ويظهر فى جميع بحوثهم على الأكثر كما لو أن الإسلام لا يمكن أن يعالجَ على أنه موضوع بحث فى البحث العلمى[1]، بل على أنه متّهَم يقف أمام قضاته . . !

إن بعض المستشرقين يمثّلون دورَ المدَّعى العام الذى يحاول إثبات الجريمة، وبعضهم يقوم مقام المحامى فى الدفاع، فهو مع اقتناعه شخصيًا بإجرام موكله لا يستطيع أكثر من أن يطلب له مع شىء من الفتور (اعتبار الأسباب المخفّفة)!!!

وعلى الجملة، فإن طريقة الاستقراء والاستنتاج التى يتّبعها أكثر المستشرقين تُذَكِّرنا بوقائع دواوين التفتيش، تلك الدواوين التى أنشأتها الكنيسة الكاثوليكية لخصومها فى العصور الوسطى؛ أى أن تلك الطريقة التى لم يتفق لها أبدًا أن نظرت فى القرائن التاريخية بتجرد، ولكنها كانت فى كل دعوى تبدأ باستنتاجٍ متفق عليه من قبل، قد أملاه عليها تعصبها لرأيها. ويختار المستشرقون شهودهم حسب الاستنتاج الذى يقصدون أن يصلوا إليه مقدمًا، وإذا تعذَّر عليهم الاختيار العرفى للشهود، عمدوا إلى اقتطاع أقسام من الحقيقة التى شهد بها الشهود الحاضرون ثم فصَلوها عن المتن، أو تأوّلوا الشهادات بروح غير علمية عن سوء قصد، من غير أن

---

(١) وهذا ما يقرأه العالم الآن فى صحف أوروبا وأمريكا .. وما تذيعه وكالات الأنباء شرقًا وغربًا.

يلتفتوا أدنى التفات إلى عرض القضية من وجهة نظر الجانب الآخر، اى من قِبل المسلمين أنفسهم.

وليست نتيجة هذه المحاكمة سوى صورة مشوهة للإسلام تواجهنا فى جميع ما كتبه مستشرقو أوروبا، وليس ذلك قاصراً على بلد دون آخر. إنك تجده فى إنجلترا وألمانيا، فى روسيا وفرنسا، وفى إيطاليا وهولنده ـ وباختصار، فى كل صقع يتجه المستشرقون فيه بأبصارهم نحو الإسلام.

* * *

لقد عثرتُ على إحدى الوثائق المتضمنة لرسالتين متبادلتين بين «ماجلآن» الرحَّالة البرتغالى ، وبين سلطان عمان الإمام «سيف ابن سلطان الأول»، وفى هاتين الرسالتين يتضح لكل ذى عينين مدى الحقد والكراهية التى يكنها الغرب للمسلمين والإسلام، والتى لم يتغيّر منها شىء حتى هذا اليوم:

يقول «ماجلان» فى رسالته إلى السلطان:

«إننا لا نرحم من يشكو، أو نشفق على من يبكى؛ فقد نزع اللهُ الرحمة من قلوبنا حقًا، والويل كل الويل لأولئك الذين لا يمتثلون لأوامرنا[1] . . لقد دمرنا مدنًا، وقضينا على أهلها،

---

(١) وهذا هو موقف الغرب من المسلمين اليوم؛ فأمريكا تعتبر أية دولة لا تخضع لها أو لا تنفذ أوامرها: دولة إرهابية يجب القضاء عليها!!

وأفسدنا الأرض، فإذا قبلتم شروطنا فسيكون هذا من مصلحتكم أنتم لا مصلحتنا نحن، أما إذا رفضتموها وثابرتم على ظلمكم، فلن تمنعكم حصونكم منا، ولن تحميكم جيوشكم؛ فقد أكلتم ثمار الشر، وأضعتم أنفسكم تمامًا .. فتمتع اليوم فيما يساورك من قلق؛ فإنك إنما تدفع عقوبة طفيفة لما فعلتَ . . . وإذا كانت كلماتنا غير مقبولة لدينكم، فيبدو لنا بالتأكيد أنك ظالم، وأن قلوبنا قُدّت من حجارة، وأعدادنا كحبات الرمال، ونحن نعتبر أن أعدادكم الوفيرة قليلة، وقوّتكم خسيسة .. إننا نحكم الدنيا[1] بالتأكيد من مشرق الشمس إلى مغربها .. وقد بعثنا لكم هذه الرسالة، فأجيبوا عليها بسرعة قبل أن تتمزق جباهكم ولا يبقى منك شيء .. وهذا لإبلاغكم بموقفنا ..».

وفيما يلي رد الإمام «سيف بن سلطان الأول»:

﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[2].

لقد طالعنا هذا الخطاب الذى يقول: إن الله انتزع الرحمة من قلوبكم، وتلك واحدة من أقبح أخطائكم، بل أسوأها وأبشعها .. وأنت تلومنا وتقول أنتم «المسلمون» كفّار، ألا لعنةُ الله على الكافرين؛ فالذى بيده البذور لا تُهِمّه الفروع، إننا نحنٍ المؤمنون حقًا، ولن يعصمك الهرَبُ منا .. ولن يعترينا أى شك أو

(١) وهذا ما تقوله أمريكا وتذيعه كل يوم.

(٢) سورة آل عمران: آية ٢٦.

تردد.. لقد أنزل علينا القرآن، وكان الله دائماً رحيماً بنا.. إن خيولنا وأساطيلنا ممتازة براً وبحراً، وعزائمنا سامية رفيعة، ومن ثمَّ فإننا إذا صرعناك فسيكون هذا عملاً صالحاً، وإذا قتلتنا فلَن يكون بيننا وبين الجنة إلا لحظة ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾(١).

وأنت تقول إن قلوبكم كالجبال وأعدادكم كالرمال، والجزَّار لا يهمه العدد الكبير من الخراف والماعز، واللهُ مع الصابرين.. وهكذا فإن لدينا القوة التى تسمو على الرغبة، فإذا حيينا فسنحيا سعداء، وإذا مِتنا فسنموت شهداء **﴿ألا إن حزب الله هم الغالبون﴾**. لقد بلغتم أمراً تكاد السموات تتفطَّر منه وتنشق الأرض، وتتهاوى الجبال وتتحطم.

فقل لسيدك (ويبدو أنه كان يوجه الخطاب هذا إلى مبعوث) إنه حتى إذا رصَّع رسالته بالجواهر، وأقام موضوعه بعناية، فإن حقيقة هذه الرسالة ليست إلا كصرير باب أو طنين ذباب، وليس لدينا بعد ذلك ما نقوله إلا أن الجبال تمطركم وابلاً، والنار تكشف العار، والسيوف تُشحذ على الأعناق. والسلام على من اتبع الهدى وخشى عذاب الجحيم، وأطاع الله مالك الملك، وفضَّلَ الآخرةَ على الدنيا.. والصلاة والسلام على خير الخلق.. محمد ﷺ(٢).

---

(١) سورة آل عمران ١٦٩، ١٧٠.

(٢) تاريخ عمان ـ وندل فيلبيس ـ ترجمة محمد أمين عبد الله ص ٩٧.

ويقول الكاتب العالمى «حيدر بامات»[1]:

«لا تزال النصرانية تواجه الإسلام بحق وازدراء ويُمليهما التعصب عليها، ويتجلَّى هذا على وجوه كثيرة، ومنها ما نرى فى الفقة الدولى الذى لا يعامل الأمم الإسلامية معاملة تكون بها مساوية للأمم النصراينة.

وتعتذر الحكومات النصرانية عما تسوم به الدول الإسلامية من حملات وإهانات باستشهادها بما عليه هذه الدول الإسلامية من تأخر وتوحش، ومع ذلك فإن تلك الحكومات النصرانية هى التى تقيم العقبات من كل وجه، حيال كل سعى إلى الإصلاح والنهضة فى بلاد الإسلام..».

عندما رُشِّح رئيس المحكمة العليا فى بريطانيا للتحقيق فى قضية تهريب أسلحة بريطانية إلى العراق، هبت الصحافة البريطانية ومعها مجلس العموم البريطانى لمنع ترشيح أكبر قاض بريطانى للتحقيق فى هذه القضية. أما لماذا؟ فلأن ابنَتَىْ هذا القاضى اعتنقتا الإسلام فى جامعة أكسفورد؟! فلا يستبعد أن يميل بعواطفه إلى شعب العراق المسلم حين النظر فى هذه القضية.!!!

وعندما رُشِّح القانونى المصرى العالمى «شريف بسيونى» لوظيفة المدعى العام فى المحكمة الجنائية الدولية لمجرمى الحرب فى «يوغوسلافيا» السابقة، اعترضت بريطانيا على هذا الترشيح. أما سبب هذا

(١) مجالى الإسلام، صفحة ٥٠٠ ترجمة عادل زعيتر، طبع عيس البابلى الحلبى.

الرفض كما ذكرت ذلك «النيويورك تايمز» NEW YORK TIMES»، فإن سبب هذا الرفض يعود إلى كونه مسلماً[1]... !!!

* * *

يقول المؤرخ «ليدوفيك دى كونتش»:

كان الغرب يعمل جاهداً على تأصيل بذور الكراهية والحقد ضد المسلمين فى نفوس المسيحيين؛ يتلقونها خلفًا عن سلف، ويَرْضَعُها الطفل من شعور أمه كما يرضع اللبنَ من ثديها .. فتسرى فى كيانه مَسْرَى الدم فى عروقه، وتنشأ لديه عقيدة تقضى على العلاقة بين المسلم والمسيحى إلى الأبد[2] ..!!

* * *

(١) وجهات نظر ـ العدد ٣٢ سنة ٢٠٠١م.

(٢) وهذا ما تقوم به أمريكا اليوم. وهذا ما أعلنه جورج بوش، بعد أحداث التفجير فى نيويورك وواشنطن. حيث قال ومعه سكرتير عام حلف الأطلنطى: «إننا نخوض حربًا صليبية من نوع جديد. .!!».

٤

كيسنجر اليهودى!

فى لقاء مع الدكتور «فاروق عبد الحق» أو «روبرت كرين» - وكان مستشاراً سابقًا للرئيس «نيكسون» - دار بينه وبين إحدى المجلات التى تصدر فى لندن هذا الحوار:

*** كيف اهتديتَ إلى الإسلام؟**

أجاب: «فى عام ١٩٨٠ وعلى أثر انتصار الثورة الإسلامية فى إيران، ازداد اهتمام الناس فى الغرب بالإسلام، ولم يكن اهتمامهم إعجابًا به، وإنما اعتبروه تهديداً لهم، لذلك تَنادَى العديد من صُنّاع الفكرِ إلى عقد الندوات والمؤتمرات حول هذا الموضوع، وقد حضرتُ أحد هذه المؤتمرات كى أرى ماهية هذه الدراسات والأطروحات المقدمة. (فى خريف ١٩٨٠) وكان مشاركًا فى المؤتمر الكثير من قادة الفكر الإسلامى.

*** ولماذا أطلقتَ على نفسك اسم «فاروق عبد الحق»؟**

لأننى أؤمن بالعدل والقانون، وأسعى جاهداً لتطبيق العدل، والفاروق «عمر بن الخطاب» كان من أشهر الخلفاء المسلمين بتطبيقه العدل، وهكذا لم أجد اسمًا أكثر تعبيراً من فاروق عبد الحق . . . فتسمَّيتُ به بعد أن أشهرتُ إسلامى. !

*** هل يمكن الحديث عن الهاجس الذى يسكنك والذى وجدت فى الإسلام إجابة له؟**

كان والدى يعمل أستاذًا فى جامعة هارفارد، وقد علّمنى أن أهتمّ وأدافع عمّا هو صواب، وأن أحاول تجنب الخطأ، وقد قضيتُ معظم وقتى فى التحرّى عن العدل والعدالة قبل أن أصبح مسلمًا.

وفى الندوة التى جمعتنى مع البروفسور «روجيه غارودى» فى دمشق سمعتُه يتحدث ويهاجم الرأسمالية منذ كان شيوعيًا. وكلانا كان لديه نفس الهدف، وهو أن يدعم العدالة. وكلانا كان ضد التركيز على الثروة؛ لأن الاهتمام بجمع الثروة ليس بعدل. لقد اتّبع «غارودى» المبدأ الماركسى الذى يسعى لتحطيم الملكية مفتاحًا للحرية. لكن كلانا يرى أن الملكية تؤدى فى النهاية إلى الظلم وعدم انتشار العدل .. وكلانا كان يدعو إلى نظام يدعو إلى إنتاج وإعطاء العدالة للجميع .. لذلك وجدنا أن الإسلام هو الحل الوحيد.

فهو الذى يحمل العدالة فى مقاصد الشريعة، وفى الكليات والجزئيات والضروريات .. وأنا كمحام كنت أسعى إلى مبادىء ليست من وضع البشر.

وأشير هنا إلى أن تعطيل معرفة أهداف ومقاصد الشريعة يُعتبر أحد الأسباب المهمة لانحطاط الحضارة الإسلامية .. فالمفتاح إلى الإسلام هو استعمال العقل، والمتابعة للوصول إلى الحقيقة.. والحقيقة تحتوى على الهدف والمقصد، لذلك فعندما يبحث الإنسان عن المعنى فى هذا العالم، والهدف من وراء هذا المعنى..

عندها يمكن للإنسان أن يستعمل ويخترع الحقيقة العلمية.. فعندما نعلم ما هو الهدف من كل شيء في هذا العالم نستطيع أن نتوصل إلى المعنى العلمي لهذا الوجود.

ويمكن القول هنا إن قادة الفكر الإسلامي فقدوا هذا البحث عن المقاصد والغايات منذ ما يزيد على ٣٠٠ سنة، لقد أرادوا أن يستمروا ويبقوا، لا أن يتوصلوا إلى هدف أسمى وأعلى في المجتمع، وكانت هذه نهاية التفكير الإسلامي ونهاية الازدهار الإسلامي.

عندما ذهبت إلى جامعة هارفارد وحصلت على شهادتي في القانون، مكثت هناك ثلاث سنوات لم أسمع خلالها كلمة العدل ولا مرة واحدة.. هدفُ العدل هو أن يخلق النظامَ والاستقرار في المجتمع .. وبدون هذه المعاني ستعم الفوضى وعدم الاستقرار.

وأذكر هنا حادثة كان لها أثرٌ كبير في حياتي؛ ففي عام ١٩٤٨م سافرت إلى ألمانيا لأدرس الصراع بين الحق والباطل في الروحانيات، وكان هناك الكثير من الطلاب الذين يدرسون في هذا الحقل .. فقد راعهم ما حدث على يدي النازية والهتلرية إبان الحرب العالمية الثانية .. وكانت هذه الدراسات تدار من قبل حركات سرية كانت ضد الشيوعية كما كانت ضد النازية، وقد حاولت الذهاب إلى ألمانيا الشرقية لأقوم ببحث حول هذه الحركات السرية حيث أُلقيَ القبضُ عليَّ مرتين واستطعت الهرب. وكان هذا أحد الأسبابَ التي جعلتني أمضي بقية حياتي أقاتل الشيوعية.

* وكيف تم اختيارك مستشاراً للشؤون الخارجية الأمريكية؟

فى عام ١٩٦٣م كتبتُ مقالةً طويلة فى الصراع بين روسيا وأمريكا، وقد قرأ الرئيس نيكسون هذه المقالة وهو فى الطائرة، واستدعانى بعدها، وكلَّفنى بوضع كتاب عن السياسة الخارجية الأمريكية وعن الشيوعية، ثم عملت مستشاراً للشئون الخارجية منذ عام ١٩٦٨م، وكنتيجة لهذا الكتاب عُيِّنْتُ نائبًا للرئيس نيكسون للأمن القومى فى البيت الأبيض، وكان هناك أربعة نواب للرئيس كنت أحدهم، وفى عام ١٩٦٩م عندما تسلَّم هنرى كيسنجر وزارة الخارجية أنهى عملى بسبب ٢٥ ورقة كانت فى كتابى تضمنت موضوع فلسطين، وقد اقترحت يومها تشكيل دولتين: يهودية وفلسطينية، وقد بُحث هذا الموضوع سنوات عديدة على أعلى المستويات فى دوائر الولايات المتحدة وفى البيت الأبيض، لكن كيسنجر كان ضد كل إنسان يبحث فى هذا الموضوع.! ووقف كيسنجر ضدى فى كل مجال دخلتُ أو عملتُ فيه. ثم عيَّننى نيكسون نائبًا لإدارة شئون إحدى الولايات فى البيت الأبيض، كما عملت فى مسألة «ووتُر جيت».

* هل يمكن لمسلم أمريكى أن يتسلم منصبًا سياسيًا فى الإدارة الأمريكية؟

على الصعيد الشخصى لم أتسلم أى منصب منذ إسلامى. وإذا أراد الإنسان أن يقوم بدور مؤثر فيجب أن تكون هناك قوى متضافرة، وليس شخصًا واحدًا. نحن بحاجة إلى مصانع فكر

إسلامى لكى يشرَحوا للأمريكيين كيف يجب على أمريكا أن تدير سياستها الخارجية، وأن يبيِّنوا أن العدل هو الطريق الطويل الذى يجب أن تسلكه أمريكا.

السياسة الأمريكية الآن تريد أن تُبقى على الأمور كما هى حتى ولو كان العالم مظلومًا، فما علينا إلا أن نسعَى إلى الطريق الذى يؤمِّن العدالة ويؤمِّن الاستقرار لهذا العالم. لكن مفهوم العدالة يجب أن يُشرَح ويُقدَّم بشكل صحيح إلى الأمريكان. بمعنى آخر «مصانع الفكر الإسلامى» هى التى يجب أن تصون الفردَ والتراثَ الأمريكى.

ويجب على هؤلاء أن يعملوا أيضًا مع صنَّاع الأفكار الآخرين الموجودين فى أمريكا .. فهناك مصنع للأفكار للذين يريدون أن يفعلوا الشىء نفسه، ولكنهم يحتاجون إلى فكر إسلامى لكى يؤمِّن لهم النجاح. أى يجب على المسلم الأمريكى أن يفكر كأمريكى قبل كل شىء .. وقد عملتُ بصفتى مديرًا للمجلس الإسلامى فى أمريكا، ورئيسًا للمحامين الإسلاميين فى أمريكا. عملت مع قادة الكونجرس، وقد تحدثت مع «لى هاملتون» وهو أحد الشخصيات التى تصوغ السياسة الأمريكية، وسألته: **هل يمكن لأصحاب الفكر الإسلامى فى أمريكا أن يُحدِثوا أى تأثير على السياسة الأمريكية؟** وكان سعيدًا عندما سمع هذا الكلام، وقال إنه كان يحضر اجتماعات كانت تعقد فى الكونجرس أو فى الدوائر الأمريكية الأخرى ولم يقابل مسلمًا خلال كل هذه الاجتماعات. وأضاف: إذا كان هناك من المسلمين من لديهم

المعرفة بالسياسة الأمريكية، فهو يتمنى أن يراهم ويناقشهم، وهو يرحب بهم. وبالتالى لا بد أن تتضافر الجهود من أجل العمل مع الجهات الأخرى . . ونحن لا نزال بانتظار هذه الفئة من أصحاب الفكر الرفيع المستوى.

مرة ثانية: هل هناك أى مسلم يتسلم منصبًا سياسيًا فى الولايات المتحدة الأمريكية؟

على حد علمى لا يوجد حتى الآن أى مسلم، ولكن إذا عملنا ـ كما أسلفنا ـ يجب أن ننتظر جيلاً قادمًا؛ فقد يكون الجيل الثانى من المسلمين أكثر تأهُّلاً لتسلم مناصب سياسية فى أمريكا، ولقيادة هذه الحركة المتمسكة بتراثها. والذين يعملون على إحياء التراث الإسلامى فى أمريكا بإمكانهم أن يكونوا نواة لحركة فكرية هناك.

أنا لست قلقًا على بقاء الإسلام فى أمريكا، وهذا الجيل الجديد قادر على القيام بهذه المهمة، وهذا واضح؛ فهى إرادة الله.

*** ما هى أولويات العمل الإسلامى فى هذه المرحلة؟**

فى اعتقادى أنه يجب التركيز على بناء فكر عال للمفهوم الإسلامى بين الشباب بشكل خاص. يجب أن يفهموا العالم الحديث، ويجدوا ردودًا إسلامية لكل المشاكل المطروحة فى المجتمع.

ومن جانب آخر يجب أن نُنَمِّى ونطوِّر قيادة فكرية بين

المسلمين وفى كل حقول المعرفة. ويكون الهدف من كلا الأمرين هو تدعيم العدل والعدالة فى العالم . . وهذا يجعل الإسلام قوة إيجابية من أجل الخير فى العالم. وهذه الأولويات تنطبق على الغرب كما تنطبق على العالم الإسلامى.

*** يتهم الغرب المسلمين بالإرهاب، ما رأيك بهذا؟ وكيف نفهم الجهاد فى الإسلامى؟**

الجهاد فى الإسلام أنواع:

١ ـ **الجهاد الأكبر**: هو أن نُصَفّى ونَنقّى أنفسنا، وبدون هذا لا نحقق أى شىء.

٢ ـ **الجهاد الكبير**: كما يقول القرآن الكريم: ﴿وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾[1] وهذا الجهاد يشير إلى استعمال أفكارنا وعقولنا فى سبيل نشر الإسلام وأفكار الإسلام.

٣ ـ **الجهاد الأصغر**: وهو يتطلب عملاً يتلاءم مع المفهوم الإسلامى؛ أى إذا رأيت باطلاً فعليك أن تقاومه، وكما يقول: النبى ﷺ: «مَن رأى منكم مُنكَرًا فليغيِّره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان».

ويمكن أن نصل أحيانًا إلى حلول أشد شجاعة وتأثيرًا إذا لم نستعمل العنف. ولكن هذا يتطلب وقتًا أطول على الأغلب، وأحيانًا لا نملك الوقت الكافى كى ننتظر، فإذا هوجم الإنسان فلا

---

(١) سورة الفرقان، آية: ٥٢ .

وقت لديه للانتظار، ولا بد من الرد بعنف على الهجوم، ومثالٌ على هذا هؤلاء الذين يهاجمون الفلسطينيين؛ فلا يملك الإنسان الفلسطينى إلا أن يردّ ويدافع عن نفسه، وهذا هو الحق فى اللجوء إلى العنف لاستعادة الحقوق المسلوبة.

*** السؤال إذن: متى وأين يجب أن نتخلى عن العنف؟**

هذه مسألة يقررها الإنسان حسب الظروف. أحيانًا العنف مطلوب للدفاع عن النفس، وخاصة إذا كانت هناك فرصة للنجاح، وإن كانت الفرصة ضعيفة، فعلينا أن ننتظر حتى تصبح الظروف مواتية لذلك النجاح.

*** وماذا عن اتهام الغرب للإسلام والمسلمين بالإرهاب؟**

الواقع أن امريكا تُقاد مِن قِبَل الصهيونية، ولهذا فهم يعتقدون أن استعمال أى قوة ضد اليهود أو ضد المصالح الأمريكية هو إرهاب .. كما يعتبرون أن كل إنسان يجابه «إسرائيل» (إرهابى).. وهذه عبارة قذرة؛ لأنك إذا لم تجابه «إسرائيل» ودعمت القضية الصهيونية فأنت لست إرهابيًا فى نظرهم! إنها كلمة يستعملونها لتدعيم أهداف ومطامع «إسرائيل». وهذا ينطبق على أى شعب آخر يريد أن يناضل من أجل حريته. فمثلاً فى كشمير يقاتلون من أجل حريتهم، وهذا إرهاب من وجهة نظرهم.

* هل يسمح الغرب للإسلام أن يُشكِّل قوةً يكون لها دورٌ فى المجتمع الدولى؟

لن يرضى الغرب أبداً بوجود هذه القوة الإسلامية.. فهو يسعى حسب وجهة نظره، إلى قانون مستقر، وفى اعتقاده أن الإسلام يشكل تهديداً خطيراً له. والحل الوحيد لنجاح الإسلام والمسلمين هو أن يؤسلموا السياسة الغربية، ويبيِّنوا أن الأفكار الإسلامية هى لصالح الناس جميعًا. والشعب الأمريكى هو أقرب الشعوب للإسلام بهذا؛ لأن عقيدتهم تتماشى بالأساس مع هذا المفهوم من المفاهيم الإسلامية.

* يتَّهَم الإسلامُ بموقفه من المرأة؛ فكيف تفهم موقف الإسلام من المرأة؟

هناك نوعان من الإسلام: الإسلام الحقيقى، والإسلام الجاهلى - إن صَحَّ التعبير -، وهذه الجاهلية هى التى تريد أن تعود بالمرأة إلى واقعها قبل ظهور الإسلام؛ حيث لم يكن للمرأة حقوق، ولكنها فى عهد النبى ﷺ تسلمت كل مقاليد الحكم؛ فكانت هناك مشاركة للنساء على كل الأصعدة، فضلاً عن كونهن زوجات صالحات، وأمهات صالحات، وإذا لم يقمن بهذه المسؤولية فإن الحضارة ستسير نحو الانهيار؛ فالرجل له دور، والمرأة لها دور. وقد أعطى الإسلام الحق للمرأة فى التصرف فى ملكيتها، وهو أمر غير معمول به فى الغرب حتى الآن.

والمشكلة هى أن بعض المسلمين فى الشرق أو فى الغرب لا يفهمون التعاليم الحقيقية للإسلام فيما يخص المرأة؛ لذلك فهم لا يمارسون التعاليم الإسلامية فى هذا المجال. ومن الصعب أن يفهم الغربيون حقيقة الإسلام؛ لأن الكثير من المسلمين الذين يعيشون فى الغرب ليسوا نموذجًا طيِّبًا للمسلمين ولا للإسلام.

* * *

٥

أسوأ القرون فى تاريخ الإسلام والمسلمين

لقد بلغ الإسلام فى نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر نهاية جَزْرِه فى القوتين: المادية والمعنوية؛ لأنه تلقى عن القرون السابقة أثقالاً من المتاعب لم تُمتحن أمة قَبله بمثلها، ولا نعرف من المؤرخين من يستغرب مُصاب الإسلام بعد ما تلقَّاه من الضربات منذ القرن العاشر إلى القرن التاسع عشر ... وإنما الغريب عندهم هو تلك القوة المنيعة التى صابَرَ بها الكوارث والشدائد زهاء تسعة قرون، ولم يزل بعدها وحدةً إنسانية هائلة تتخذ مكانها بين هيئات الأمم .. ضرباتٌ لم تصمد لمثلها دولةٌ من الدول الجامعة، أى الدولُ التى سُميت بالإمبراطوريات فى العصرين القديم والحديث!!

«وقد كان القرن التاسع عشر ولا ريب أسوأ من كل القرون التى تَقدمته؛ لأنه القرن الذى انبعثت فيه «المسألة الشرقية»[1] من بقايا الحروب الصليبية .. وكانت المسألة الشرقية تمخضت عن دور آخر وراء دور الحروب الصليبية، وهو دور التفاهم بين دول الاستعمار على تقسيم تركة « الرجل المريض»[2]، وتبادل الإغضاء

---

(١) كانت «المسألة الشرقية» تعنى فى أول الأمر تخليص الممالك المسيحية من أيدى الدولة العثمانية، وفى مرحلة ثانية أصبحت تعنى تقسيم الدولة العثمانية والدول الإسلامية ـ التابعة لها بين الدول الأوروبية.

(٢) اصطلاح أطلقته الدول الأوروبية على الامبراطورية العثمانية فى مرحلتها الأخيرة.

عن كل طرف متفق عليه يقع فى قبضة الطامعين فيه من المتنازعين على التركة وصاحبها على قيد الحياة»[1].

إن القلب ليمتلىء رعبًا وهو يطالع تفاصيل هذه المؤامرة التى حيكت لتقسيم العالم الإسلامى وابتزازه، والعمل على تدميره وتحطيمه، وقد ذكر لنا المرحوم الأمير شكيب أرسلان مائة مشروع وُضعت لتقيسم دولة الخلافة، وفى هذا الحوار بين القيصر نيقولا إمبراطور الروسيا، والسير هاملتون سيموز سفير بريطانيا تتضح أبعاد هذه المؤامرة الخطيرة، وكيفية التدبير أو التفكير تجاه العالم الإسلامى وتدميره[2].

«... ففى ليلة سَمَرٍ عند الغراندوقة «هيلانة» الروسية - ٩ يناير ١٨٥٣ قال الإمبراطور نيقولا للسير هاملتون:

«تأملْ؛ نحن بين أيدينا رجلٌ مريض .. ومريضٌ جدًا، ويكون بالفعل وَبالاً عظيمًا علينا إن خرج أمرُه من أيدينا!».

وفى مرة ثانية دُعى السفير هاملتون لمقابلة القيصر، فقال له أيضًا:

«أنت لا تجهل المقاصد والمرامى التى لا تزال فى روسيا منذ عهد كاترينا ... وتركيا هى - كما قلت لك من قبل - رجل مريض، ويجوز أن تموت بالرغم منا! فتبقى عبئًا علينا، وليس فى استطاعتنا نشر الموتى!».

---

(١) عباس العقاد. محمد عبده: ص ١٠.

(٢) حاضر العالم الإسلامى ج٣ ص ٣٠٧ - ٣٠٨.

«افلا يكون من الأفضل بحقنا ـ تفاديًا لحرب أوروبية ـ ان نتفق مسبقًا على أمرها حتى لا نؤخَذ على غرة! وإنى أقول لك بصراحة إننا إن استطعنا ـ أنا وإنجلترا ـ أن نتفق فى هذا الموضوع لم يهمنا الآخرون . . وأنا لا اكتمك أنه إن كان فى نية إنجلترا الاستيلاء على الآستانة فلن أتحمل ذلك، لا أقول إن لكم هذه النية، ولكن أقول إن صحت هذه النية فلن أكون راضيًا، وأنا نفسى أتعهد أيضًا بأن لا أحتلها مالكًا . . . أما بصورة مؤقتة على سبيل الاستيداع فقد أرضَى . . !!!

وأما إذا بقيت الأمور بدون قرارٍ بشأنها، فقد يجوز أن أحتلها قولاً واحدًا . . !!!»

فأجاب السير هاملتون: «ليسمح لى جلالتك بالقول إنه ليس عندنا أدنى سبب للظن أن المريض على وشك الهلاك!».

فرَدّ القيصر فى حدةً قائلاً:

«إذا كان عند حكومتك أملٌ بأن تركيا لا تزال فيها عناصر الحياة، فإن المعلومات التى لديك غير صحيحة . . . وأنا أؤكد لك أن المريض فى حالة احتضار، وأنه لا يجوز أن يموت ونحن عنه غافلون . . !! بل يجب أن نتفق . . . ولست أكلفكم عقد معاهدة . . أو تحريرَ صكّ . . وإنما أطلب كلمة اتفاق عامة، وهذا كافٍ فيما بين الرجال الأكياس . . ».

* * *

لم يحدث فى التاريخ، وفى أشد عصوره همجية أن تآمر رئيس دولة على دولة مجاورة، وعملَ على تدميرها بهذه الطريقة التى كان يفكر بها قيصر الروسيا، ولم يحدث فى أظلم عصور التاريخ، وأشدُها همجيةً ووحشيةً أن حكم رئيس دولة على دولة أخرى بالموت، وحدَّد ساعةَ موتها بهذه الطريقة، ولم يحدث ولن يحدث فى المستقبل كما تظن، ولكن الأحقاد التى تَشَعَّبت جذورُها فى العقل الأوروبى وغارت فى أعماق مشاعره وإحساسه، هى التى كانت تخطط لهذا العمل الهمجى، وتنظِّم هذا الهجوم الوحشى. . . وتتفق على توزيع التركة قبل التنفيذ العملى. . .

وسواء أكان موقف السفير الإنجليزى تعبيراً عن موقف حكومته . . أم لم يكن؛ فإن الواقع ينفى كل اعتبار لحسن النية، واعتقادنا هو: أن بريطانيا لم تشأ أن تُشرِك روسيا معها فى اقتسام الضحية.

لقد بدأ الهجوم على العالم الإسلامى فى كل أقطاره، وأحاطت به الجيوش والأساطيل فى عقر داره، دمرت بريطانيا ممالك الإسلام فى الهند، وسيطرت على الخليج، واحتلت فى طريقها عدن، وأبحرت أساطيلها شرقًا وغربًا، فلم تَدَعْ جزيرةً فى بحر، ولا مدينة على ساحل.

وانطلقت فرنسا من وراء بريطانيا، فاحتلت الجزائر والمغرب وتونس.

وذهبت إيطاليا إلى الصومال وإريتريا. وسيطرت هولندا على

جزر الهند الشرقية بأكملها .. وأحيط بممالك الإسلام وسلطناته فى شرق وغرب أفريقيا، وأخيراً وقعت مصر والسودان فى قبضة بريطانيا.

لقد سقط «المجدار» ومشت سكة الأجنبى فى حقل الإسلام، وتداعت الأمم على المسلمين، كما تنبأ النبى ـ ﷺ ـ قبل ذلك بأكثر من ألف وأربعمائة عام[١] ...

* * *

كانت النازلة شديدة، والكارثة كبيرة، والمعركة ضد الإسلام والمسلمين ضارية عنيفة، كانت هذه الأيام والسنوات كما يقول المؤرخ الجبرتى «أول سِنِى الملاحم العظيمة، والحوادث الجسيمة، والوقائع النازلة، والنوازل الهائلة، وتوالى المِحَن، واختلال الزمن، وانعكاس المطبوع، وانقلاب الموضوع، وتتابع الأهوال، واختلاف الأحوال، وعموم الخراب، وتواتر الأسباب، وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلُها مصلحون»[٢].

* * *

وبدأ رد الفعل. وكان للتصرف الاستعمارى البغيض،

---

(١) فى حديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: «يوشك أن تَداعَى الأمم عليكم كما تداعى الأكلة على قصعتها» .. الحديث رواه أبو داود والبيهقى فى دلائل النبوة. انظر: مشكاة المصابيح ج٢ طبعة المكتب الإسلامى ١٣٨١هـ.

(٢) عجائب الآثار للجبرتى مطبعة الشعب ـ القاهرة.

والتعصب الصليبى المقيت أثره السريع فى الانتفاض واليقظة، وإعلان الجهاد والثورة[1].

كان الدين هو القوة المحركة الوحيدة فى هذا الوقت، وكان العلماء هم الجزء الحى فى جسم الأمة الميت .. وكما أن السيف والقيثارة قد اجتمعا فى عصور الوثنية - قبل البعثة النبوية - فكذلك اتحد فى الإسلام العلمُ الدينى مع النبوغ الحربى، واستخدمت هذه المواهب فى مكافحة الكفر والزندقة ... والتاريخ القديم للإسلام مفعم بالأمثلة الكثيرة من هذا القبيل، وأقدَم نموذج لهذا ما أُثِر عن الإمام على بن أبى طالب وسيفه، وقد كان فى الوقت نفسه حُجَّة فى كافة المسائل الدينية التى كان يعالجها بعلمه الدينى الراسخ.

بل إننا نرى غالبًا فى الأخبار الدينية المستيقَنة هذا الجمع بين المزايا الحربية والعلمية فى أشخاص كانوا على رأس الجيوش المحاربة، ولكى نثبت استمرار هذه الظاهرة حتى عصرنا الحاضر يكفى أن ندلِّل على ذلك بـ «عبد المؤمن» مَهْدِى الموحِّدين فى المغرب، فى القرن الثانى عشر الميلادى، الذى غادر كراسى التعليم ومنابر الوعظ ليكون على رأس جيشه، وليؤسس دولة إسلامية عظيمة فى المغرب بعد حروب حماسية أثارها، وأبدَى فيها كثيراً

---

(١) فقد كان أول عمل قامت به فرنسا بعد احتلالها الجزائر تحويل مسجد «كيشاوة» التاريخى إلى كاتدرائية (Cathedrale) وأصدرت هيئة البريد الفرنسى طابعًا تذكاريًا يمثل الهلال رمز الإسلام وهو يسقط منحدراً إلى قاع البحر، على حين يرتفع الصليب رويداً؛ ليغمر بسناه الأفق!!.

من ضروب البسالة. والبطل الحديث «عبد القادر الجزائرى»[1] الذى قاوم الفرنسيين مقاومة حربية باسلة عندما أخذوا فى إخضاع الجزائر، ولما انتهى جهاده جمع حوله فى منفاه بدمشق طلابه ومريديه الذين تابعوا فى إصغاء واجتهاد دروسه فى الفقه والعلوم الدينية الأخرى.

وممن يمثل هذه الظاهرة الفذة فى تاريخ الإسلام الحديث «شامل» بطل الاستقلال القوفازى، والمَهديّون الحربيون الذين ظهروا فى السودان والصومال.

وحول نهاية القرن الثامن عشر ظهر من بين جماعة الفولانى رجل معروف يدعَى الشيخ عثمان دنفيديو عُرف بأنه مصلح دينى وداعيةٌ محارب[2]. وقد ذهب إلى مكة لأداء فريضة الحج، وعاد من هناك ممتلئًا بالحماسة والغيرة من أجل الإصلاح والدعوة إلى الإسلام، وكانت جماعة «الفولانى» التى ينتسب إليها الشيخ بضعة قبائل صغيرة تحيا حياة رعوية هادئة، فعمل الشيخ عثمان دنفيديو على توحيدها، وجعل منها جماعةً قويةً، وقد حاول ملك

---

(١) وقد كان من الأمثلة البارزة الأخرى المرحوم الأمير عبد الكريم الخطابى الذى دوَّخ الفرنسيين والأسبان فى حرب الريف ببلاد المغرب.

كما كان لحركة الشيخ عبد الحميد بن باديس أثرها فى الثورة الجزائرية، والحفاظ على الصبغة الإسلامية للشعب الجزائرى، كما كانت دروسه، وحلقات تعليمه مدرسة جامعة للزعماء والعلماء.

(٢) انظر فى هذا الموضوع «إحياء السنة» تأليف عثمان دنفيديو، طبع إدارة الثقافة بالأزهر.

مملكة «جوبر» الوثنية أن يعوق قوة الفولانى المتزايدة فى مملكته، فأدّى ذلك إلى أن رفع عثمان دنفيديو عَلَمَ الثورة، وسرعان ما وجد نفسه على رأس جيش قوى، واستطاع أن يفرض سيطرته على الممالك الوثنية والولايات الإسلامية المجاورة، فسقطت هذه الولايات واحدةً بعد أخرى، وأصبحت كل أراضى الحوصا تحت حكم «دنفيديو» قبل وفاته سنة ١٨١٦م، ولا يزال قبره فى «سوكوتو» مَثابَةً يقصدها الناس من كل جهة(١).

وكانت هناك حركات حربية أخرى قام بها رجالٌ جمعوا بين العلم الدينى والجهاد بالسيف، منهم **الحاج عمر** الذى وُلد سنة ١٧٩٧م على مقربة من بودور (Boudour) على نهر السنغال الأدنى، ويظهر أنه كان رجلاً كريمَ السجايا، مَهيبًا، ذا مظهرٍ يوحى بالسيطرة والقوة، وكان ابنًا لأحد المرابطين، وتثقف ثقافة دينية متينة، واشتهر بعلمه وورعه، وقد سافر إلى الحج سنة ١٨٢٧م، ولم يعد إلى وطنه إلا سنة ١٨٨٣م حيث نشط فى نشر تعاليم التيجانية، وهاجم أبناء دينه لجهلهم مهاجمةً عنيفة، وقد التف حوله كثير من الأتباع، وكُرِّم كـ«مهدىّ جديد»، وما إن وافت سنة ١٨٤١م حتى كان قد بلغ جبالَ فوتاجالون، حيث سلَّح أتباعه، وبدأ سلسلة من الحملات فى نشر الدعوة، وفى إحدى هذه الغزوات لَقِىَ حتفَه سنة ١٨٦٥م(٢).

ولدينا تفاصيل أخرى عن حركة من هذا النوع، وأحدث زمنًا

---

(١) الدعوة إلى الإسلام ص ٣٦٠ - ٣٦٣.

(٢) المصدر السابق ص ٣٦٧.

من تلك الحركة التى قام بها الحاج عمر «المهدى السنغالى»؛ قامت هذه الحركة فى جنوب «سنغامبيا» على يد أحد أفراد قبيلة «الماندجو»، ويدعى «أحمد صمودو»، وقد وُلد أحمد هذا فى سنة ١٨٤٦م وأسس إمبراطوريته فى جنوب «سنغامبيا» فى البلاد التى يرويها نهر النيجر الأعلى وروافده، وقد بلغ «أحمد صمودو» أوج قوته سنة ١٨٨١م(١) . . . وبعد ذلك بقليل دخل فى نزاع مع الفرنسيين، فأسروه سنة ١٨٩٨م بعد سلسلة من الغزوات القاسية(٢).

ولم يكد القرن التاسع عشر يوشك على الانتهاء حتى هبَّت الثورات فى معظم أقطار العالم الإسلامى؛ فى آسيا الوسطى، والهند، فى السودان، وفى مصر.

أو كما يقول «ألن مورهيد» لقد اشتعلت الشرارة المقدسة، وانتفض المارد الذى ظل ساكنًا حين حانت الفرصة». . . !!

* * *

(١) نفس السنة التى قام فيها المهدى السودانى بدعوته.

(٢) الدعوة إلى الإسلام: ص ٣٦٩.

٦

الخرافةُ الكبرى

كان أول لقاء بين الإسلام وأوروبا تلك الرسالة التى بعث بها النبى ﷺ إلى هرقل عظيم الروم .. وقصة هذه الرسالة معروفة لدى العامة والخاصة بين المسلمين.

غير أن هذا اللقاء الوَدود السلمى مِن قِبل النبى ﷺ لم يُقابَل بمثله من قِبل الرومانيين؛ فقد بدأت الدولة الرومانية تستعد لحرب المسلمين، وبخاصة بعد مقتل مبعوث النبى ﷺ(١) على أيدى أحد العملاء الرومانيين .. بالرغم مما أظهره هرقل قبل ذلك من مودة وتقدير للإسلام ونبيِّه الكريم .. وهذا هو السبب الحقيقى للقتال فى غزوة «مؤتة» وغزوة «تبوك». كما كانت هذه الحادثة هى السبب فى استئصال شأفة الدولة الرومانية ومطاردتها بعد ذلك فى مختلف أقطار العرب والمسلمين.

ومنذ عهد الخليفة عثمان بدأ غزو المسلمين البحرى؛ إذ غزا معاوية جزيرة قبرص، ونقل إليها جماعة من بعلبك، وبعث إليها باثنى عشر ألفًا فبنَوْا بها المساجدَ، وعلَّموا أهلها اللغة العربية والقرآن.

وفى عهد معاوية فُتح عددٌ من جزر البحر المتوسط، وشُنَّت حملات على بلاد الأناضول، وأُرسلت حملة لفتح القسطنطينية،

---

(١) اسمه شرحبيل بن عمرو الغسانى.

وتوالت عليها حملات فى عهد خلفائه الأمويين، وكان أشد ما غُزيت به على يد مَسْلَمَة بن عبد الملك فى عهد أخيه سليمان.

ودخل المسلمون إسبانيا قبل نهاية القرن الأول الهجرى، ثم دخلوا صقلية وجنوب إيطاليا، وأعادوا فتح الجزر التى فى البحر الأبيض، وحولوها جزراً إسلامية.

وإذا كان المسلمون قد فتحوا بلاد الأندلس، وإذا كان الأتراك العثمانيون قد وصلوا إلى أبواب فيينا عاصمة النمسا.. فالسؤال هو:

هل كانت هذه الفتوحات سببًا فى انتشار الإسلام فى أوروبا؟

هل انتشر الإسلام بالسيف؟

* * *

إن الإيمان كما يقول القرآن لا يُفرَض بالقوة، الإيمان أساسه إقرارٌ بالقلب، والاعتقاد فيما يؤمن به الإنسان أنه حق.. ولم يُعرف عن المسلمين فى أوج سلطانهم وقوتهم أنهم أرغموا أحداً على اعتناق الإسلام بالقوة.

بل إن أحد الحكام المسلمين فى مصر رفض دخول الأقباط فى الإسلام حتى لا تنخفض الأموال التى كان يحصّلها منهم كجزية.. وحين سمع الخليفة عمر بن عبد العزيز بذلك كتب إليه بأن يترك الحرية للناس فيما يختارونه من عقيدة؛ لأن محمداً ﷺ أرسله الله إلى الناس للهداية لا لتحصيل الجباية والجزية.

يقول المستر (داربر) الأمريكى المشهور:

«إن المسلمين الأوائل فى زمن الخلفاء لم يقتصروا فى معاملتهم أهل العلم من النصارى النسطوريين ومَن إليهم على مجرد الاحترام، بل فوضوا إليهم كثيراً من الأعمال الجسام، ورقّوهم فى مناصب الدولة، حتى أن هارون الرشيد وضع جميع المدارس تحت إمرة (ابن ماسَويه)، ولم يكن ينظر إلا إلى مكانته من العلم والمعرفة»[1].

ويقول المؤرخ الشهير المعاصر «هـ. ج. ولز» فى صدد حديثه عن تعاليم الإسلام[2]:

«إنها أسست فى العالم تقاليد عظيمة للتعامل العادل الكريم، وإنها لتنفخ فى الناس روح الكرم والسماحة، كما أنها إنسانية السمة، ممكنة التنفيذ؛ فقد أقامت مجتمعاً إنسانيًا لا تعصُّب فيه بسبب التفرقة فى الدين».

نعود مرة ثانية للتساؤل: **هل استعملَ الفاتحون المسلمون القوة فى إرغام غير المسلمين على اعتناق الإسلام..؟**

بدايةُ الإجابة من «القسطنطينية» .. وقد اخترت القسطنطينية بالذات؛ لأن الأتراك العثمانيين ظُلموا فى تاريخنا الحديث ظُلمًا بيِّنا .. ولأن العرب بصفة خاصة نَقلوا عن الغرب المَوْتور كلَّ ما

---

(١) الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى - لآدم متز - ترجمة الدكتور أبى ريدة جزء ١ ص ٨٥ : ٨٧.

(٢) فى كتابه: موجز تاريخ العالم.

كتبه هذا الغرب عن الدولة العثمانية دون تمحيص لروايات هذا الغرب التى زُوِّرت ولُفِّقَتْ لتشويه سمعة هذه القوة الإسلامية التى لقَّنت الغرب وشعوبه درسًا قاسيًا على مدى ستة قرون.

يقول «توماس أرنولد»[1]:

«لم تكد حاضرة الإمبراطورية الشرقية القديمة تسقط فى أيدى العثمانيين سنة ١٤٥٣م. حتى توطَّدَت العلاقات بين الحكومة الإسلامية والكنيسة المسيحية بصفة قاطعة وعلى أساس ثابت.

ومِن أولى الخطوات التى اتَّخذَها الخليفة العثمانى محمد الثانى، بعد سقوط القسطنطينية وإعادة إقرار النظام فيها أن أعلنَ نفسه حامى الكنيسة الإغريقية، فحرَّم اضطهادَ المسيحيين تحريمًا قاطعًا، ومنحَ البطريق الجديدَ مرسومًا يضمن له ولأتباعه ولمرءوسيه من الأساقفة حق التمتع بالامتيازات القديمة والموارد والهبات التى كانوا يتمتعون بها فى العهد السابق. وقد تسلم «جناديوس» أول بطريق بعد الفتح التركى، من يد السلطان نفسه عصا الأسقفية التى كانت رمزَ هذا المنصب، ومعها كيس يحتوى على ألف دوكة ذهبية، وحصانًا محلًّى بطاقم فاخر، وكان يتميز بركوبه عبر المدينة تحفُّ به حاشيته. ولم يقتصر المسلمون فى معاملة رئيس الكنيسة على ما تعوَّد أن يلقاه من الأباطرة المسيحيين من توقير وتعظيم، بل كان متمتعًا أيضًا بسلطة أهلية واسعة؛ فكان مِن عمل البطركية أن تفصِل فى القضايا التى تتعلق بالإغريق

---

(١) «الدعوة إلى الإسلام» ترجمة إبراهيم حسنى وآخرين.

بعضهم مع بعض؛ فكان لها أن تفرض الغرامات، وتسجن المجرمين فى سجن مُعدٍّ لها، بل كان لها أن تحكم بالإعدام فى بعض الأحيان، بينما صدرت التعليمات إلى الوزراء وموظفى الحكومة بتنفيذ هذه الأحكام..!!!

وقد تميز الأتراك بصلابتهم فى حياتهم الدينية، وحماستهم فى أداء طقوسهم التى رسمها لهم دينهم فى ربهم وأسلوب معيشتهم، وبساطة الحياة التى تلاحَظُ حتى فى العظماء أو الأقوياء منهم.

ويثنى مؤرخ السفارة التى أرسلها الامبراطور «ليوبولد الأول» إلى الباب العالى من سنة ١٦٦٥م - ١٦٦٦م ثناءً خاصًا على تعبُّد الأتراك وانتظامهم فى الصلاة، بل يذهب بعيدًا فيقول:

«يجب أن تتكلم عن فوضى المسيحيين، وأن سلوك الأتراك يبرهن على كثير من العناية والغيرة فى أداء شعائرهم الدينية، أما المسيحيون فلم يُظهروا شيئًا من ذلك فى دينهم..».

حتى أن التركى العظيم نفسه لا يحاول أمرًا إلا بعد مشورة المفتى، وإلى أى حد هم مهتمون بمراعاة أوقات الصلوات الخمس فى كل يوم حيث وُجدوا وأيًا كانت مشاغلهم ؟!.

ما أشدَّ مراعاتهم دائمًا لصومهم من الصباح حتى المساء طوال أيام الشهر بلا انقطاع!.

ما أكثر توادّ المسلمين وتراحمهم!.

وما أعظم ما يُرى مِن عنايتهم بالغرباء فى نُزُلِهم، سواء بالفقير أو المسافر. . !

لو تأمَّلنا عدالتَهم ونزاهتَهم وسائر فضائلهم الخُلُقية لخجلنا من جمودنا، سواء فى عبادتنا أو فى تراحمنا، ومِن جورنا وإفراطنا وتعسُّفنا؛ فلا ريب أن هؤلاء الناس سيقيمون الحجة علينا، ولا شكَّ أن عبادتهم وتقواهم وأعمال الرحمة فيهم، هى الأسباب الرئيسية لنمو الدعوة المحمدية. . !!

ولكن أهم ما نلاحظه هنا، أنَّ بعضَ الناس بدأ يسأل:

هل من الجائز أن يأذنَ اللهُ للمسلمين بأن يَبلغوا ما بلغوه من هذا العدد الذى لا يدخل تحت حصر بدون سبب معقول. . ؟

هل من المتصَوَّر أن مثل هذه الآلاف المؤلَّفة تتعرَّض للهلاك الأبدى كما يتعرض الرجل الواحد؟

كيف يمكن أن يكون أمثال هذه الجماهير الزاخرة مناوئين للدين الحق؟

إنه إذا كان الحق أقوى من الباطل، وكان الناس جميعًا يحبون الحق ويرغبون فيه أكثر مما يحبون الباطل، فليس من المحتمل أن تُجمِع أقوامٌ كثيرة كهؤلاء على محاربته. ؟!!

كيف استطاعوا أن يقووا على الحق ما دام الله يُعين على الحق ويؤيده؟

كيف استطاع دينُهم أن ينتشرَ بهذه الصورة العجيبة لو أنه قام على أساسٍ فاسد من الباطل؟!

وفى حوار دار بين القائد المجرى «هينادى» وبين رجل مجرى آخر اسمه «برانكوفيتش»، وكان ذلك أثناء نشوب الحرب بين المجر والأتراك . . سأل «برانكوفيتش» القائد المجرى هذا السؤال:

ماذا سوف تصنع لو انتصرتَ على المسلمين؟

فأجاب القائد: «المسيحى» المجرى:

أهدم كلَّ المساجد طبعًا . . !!!

ثم ذهب «برانكوفيتش» بعد ذلك إلى القائد التركى المسلم ثم سأله: ماذا ستصنع مع ديننا ـ أى المسيحية ـ إذا انتصرت؟

فأجاب القائد التركى المسلم:

«أقيم كنيسةً بجوار كل مسجد»!!

ومن أغرب ما تقرأه فى كتب الفرنجة أن راهبًا أصدر كتابًا سماه «المصيبة الإسلامية» ! ويقول هذا الراهب إن المسلمين من أمكر خلق الله . . !

ويا ليت المسلمين كانوا كذلك . . إذن لتغيَّرَ وجهُ التاريخ وانتهت مشاكلنا ومصائبنا . . !

نعود إلى قول هذا الراهب لنتساءل:

لماذا قال هذا عن المسلمين؟ ولماذا وصفهم بالمكر الذى لم يعرفوه ولم يمارسوه أبدًا؟ .

يقول هذا الراهب:

«إن المسلمين لم يستعملوا القوة أو الإكراه فى إرغام أى أحد

على اعتناق دينهم أبداً . . بينما كان العكس هو الواقع والأسلوب مع كل مخالفينا فى عقيدتنا . . ؟!

وقد دفع هذا الموقف ـ أى تسامح المسلمين مع مخالفيهم وعدم إكراههم على الدخول فى دينهم ـ إلى أن يقترب الناس من هؤلاء المسلمين ليتعرَّفوا على حقيقة دينهم . . وهنا كانت المصيبة؛ فما مِن أحد تعرَّف على الإسلام إلا وآمَنَ به وترك مِن ورائه الكنيسة . . !!» .

هل سمعتم أسوأ من هذا المنطق[1]؟

* * *

(١) انظر: كتاب «الدعوة إلى الإسلام» لتوماس أرنولد ـ وكتاب «من روائع حضارتنا» مصطفى السباعى، وكتاب «الغزو الفكرى حقيقة أم وهم» محمد عمارة.

٧

لكن لماذا يكرهون الإسلام؟

قبل عشر سنوات، وفى عهد رئيس وزراء بريطانيا السابق «جون ميجور» سأله مراسل صحفى:

كيف ترسل بريطانيا قواتها إلى (البوسنة والهرسك) وتترك بريطانيا بدون قوة رادعة لأى خطر محتمل.؟

ماذا قال الوزير؟

لقد قال بالنص وبالحرف: «لقد أرسلنا قواتنا إلى هناك لمنع الخطر من الوصول إلى لندن» ...!!!

فعاد الصحفى وسأله مرة أخرى عن اسم هذا الخطر..!

فقال الوزير: «إنهم المسلمون طبعًا»..!!!

وهل يشك أحد ـ أن أمريكا وأوروبا كانت ستسحق الصرب سحقًا على جرائمهم الوحشية وعمليات الإبادة والتطهير العرقى لو كان الصربُ مسلمين..!

وهل يتصور أحدٌ تطبيق حظر السلاح على (البوسنة) لو كانت مسيحية ـ والمعتِدى هم المسلمون؟!

وقد نُشرت إحدى الوثائق التى تسربت من مكتب رئيس الوزراء البريطانى ـ السابق ـ (جون ميجور)، وفى هذه الوثيقة يكشف رئيس الوزراء البريطانى الستار عن أبعاد المؤامرة التى تقودها بريطانيا ضد المسلمين فى أوروبا والعالم.

لقد اعترف الجندى البريطانى: «نيك كاميرون» بعد ٧ سنوات كاملة على الجريمة، بما حدث من تواطؤ أوروبى لذبح مسلمى البوسنة، حكى الرجلُ ما حدث لصحيفة الصانداى تايمز، قال: «لقد آن الأوان أن نتكلم، نقول حقيقةَ ما حدث فى حرب البوسنة، تحديداً فى «سربرينتشا»، لم أعد أحتمل الكتمان أكثر من ذلك، لقد خدَعْنا الجنود المسلمين، فنحن ـ قوات الحماية الدولية ـ بدلاً من أن نوفر لهم الأمن والحماية غرَّرنا بهم وسلَّمناهم للصرب» . . ويضيف: «لقد قام الصرب بذبح سبعة آلاف مسلم على مرأى ومسمع من الغرب، بل وبموافقة قوات الأمم المتحدة الدولية التى كان من المفتَرَض أن تَحْمِىَ المسلمين فى «سربرينتشا»، ولكنها ـ على العكس من ذلك تماماً ـ سمحت للصرب بتصفيتهم، بعد أن تأكدت تلك القوات من عزم القوات الصربية على ذبح المسلمين» .!!!

يقول «كاميرون» أن أفظع لحظة عاشها خلال الشهور العصيبة التى قضاها فى البوسنة هى عندما بَلَّلَتْه دموعُ الجنود المسلمين وهم يودِّعونه بعد أن خسروا المعركة تماماً، ويشكرونه على الدور الذى قام به هو وغيره من قوات الحماية الدولية، أما هو فكان يشعر بمرارة الخزى والعار فى أعماقه، وأخذ يودع الجنود عند مغادرته أرض الدمار وهو يقول لهم: «سامحونى . . . أنا آسف»، هو وحده كان يعلم لماذا هو آسف، ولماذا طلب منهم السماح.

أما هم فلم يكن لديهم أدنى فكرة أن البقية الحية منهم سوف

يرقدون بجانب رفاقهم فى المقابر الجماعية التى أُعدَّتْ خصيصًا لهم فى القرى والغابات الواسعة .. كانت قوات الحماية الدولية قد تواطأت مع الصرب على ترك الجنود المسلمين وأهالى سربرنتشا المسلمين لِيُقتلوا على يد الصرب بعد انسحاب القوات الدولية، كان هذا أمر فى حكم المؤكد، ومع ذلك سمحت به القوات الدولية أو جهَّزت المسرح له !!!

ويعترف كاميرون بذلك قائلاً: «لقد خدعنا المسلمين تمامًا ..» ويضيف: «إن عمليةَ التلاعب بالألفاظ فى مفهوم الحماية الدولية كانت هى المفتاح الذى استخدمه الغربُ لإطلاق يد الصرب الغادرة لتصفية المسلمين فى سربرينتشا». ويقول كاميرون أيضًا: «عندما ذهبتُ فى البداية مع أفراد القوة لحماية المنطقة كنت أعتقد أننى ذاهبٌ لحماية الضعيف من القوى، والذى حدث هو أننا سهّلنا مهمة افتراس المسلمين على يد الصرب»..!!

* * *

يقول: «يوجين روستو» مستشار الرئيس الأمريكى الأسبق «جونسون»: «يجب أن ندرك أن الخلافات القائمة بيننا وبين الشعوب العربية ليست خلافات بين دول أو شعوب، بل هى خلافات بين الحضارة الإسلامية والحضارة المسيحية. لقد كان الصراع محتدمًا بين المسيحية والإسلام منذ القرون الوسطى، وهو مستمر حتى هذه اللحظة، بصورٍ مختلفة. ومنذ قرن ونصف

خضع الإسلام لسيطرة الغرب، وخضع التراث الإسلامى للتراث المسيحى.

إن الظروفَ التاريخية تؤكد أن أمريكا إنما هى جزءٌ مكمل للعالم الغربى؛ فلسفته، وعقيدته، ونظامه، وذلك يجعلها تقف معاديةً للعالم الشرقى الإسلامى بفلسفته وعقيدته المتمثلة فى الدين الإسلامى، ولا تستطيع أمريكا إلا أن تقف هذا الموقف فى الصف المعادى للإسلام وإلى جانب العالم الغربى والدولة الصهيونية؛ لأنها إن فعلت عكس ذلك فإنها تتنكر للغتها وفلسفتها وثقافتها ومؤسساتها». إن روستو يحدد أن هدفَ الاستعمار فى الشرق الأوسط هو تدمير الحضارة الإسلامية، وأن قيامَ إسرائيل هو جزء من هذا المخطط، وأن ذلك ليس إلا استمراراً للحرب الصليبية[1].

فى أواخر عام ٢٠٠١ ثارت ضجةٌ فى إيطاليا عندما أُعلن أن السفير الإيطالى فى السعودية «**توركواتو كارديللى**» اعتنق الإسلام يوم ١٦ نوفمبر، وأعلن أنه اهتدى إلى الإسلام بعد دراسة عميقة للقرآن والقيم والحضارة الإسلامية.

وعلَّقت صحيفة «لاستامبا» الإيطالية على هذا الحدث فى عددها يوم ٢٦ نوفمبر فقالت: إن «كارديللى» انحاز إلى الإسلام فى الوقت الذى احتدم فيه الصراع بين الحضارات والديانات، وأن اختيار السفير للإسلام يثير كثيراً من الجدل، خصوصاً أنه أول دبلوماسى يعتنق الإسلام، فقد اعتنق الإسلام قبله «ماريو شيالوجا» الذى اعتنق الإسلام فى عام ١٩٨٨م، وتولى منصب

---

(١) معركة المصير ـ صفحات ٨٧ ـ ٩٤ «أسعد جمعة».

سفير إيطاليا فى السعودية عشر سنوات بعد إسلامه، وأصبح رئيسًا للمجلس الإسلامى الإيطالى، ونائبًا لرئيس رابطة العالم الإسلامى فى مكة، ولها فرع فى العاصمة الإيطالية روما.

أما «كارديللى» السفير الذى شغل الصحافة والرأى العام فى أوروبا لاعتناقه الإسلام فهو باحث متعمق فى شئون العالم الإسلامى، درس اللغات والحضارات الشرقية، كما درس الحياة السياسية فى الشرق، وبدأ العملَ فى السلك الدبلوماسى عام ١٩٦٧م، وتولى مناصب عديدة فى سفارات إيطاليا فى عديد من الدول الإسلامية منها سوريا والعراق وليبيا، وشغل منصب السفير فى دار السلام عاصمة تانزانيا من عام ١٩٩٣م حتى ١٩٩٧م، عاد بعدها إلى وزارة الخارجية الإيطالية، ومنذ عام ١٩٩٨م حتى عام ٢٠٠٠ شغل منصب أمين المجلس العام لشئون الإيطاليين بالخارج، ثم نُقل سفيرًا فى السعودية، فهو إذن شخصية لها وزن سياسى ودبلوماسى كبير فى الخارجية الإيطالية، وهو من المثقفين والدارسين للحضارات والديانات، وعلى إلمام كبير بقضية صراع الحضارات التى تدور رحاها فى الغرب؛ ولذلك فإن اختياره للإسلام وللحضارة الإسلامية فسره بعض المعلّقين فى الصحافة الغربية على أنه هزيمة للغرب ونقطة تُحسب لصالح الإسلام، ليس هذا هو الوقت المناسب لحصول الإسلام عليها كما قالوا.

واتشغلت الصحافة الغربية بالبحث عن كيفية اعتناق السفير الإيطالى للإسلام .. وهل تعرَّض لضغوط من جهاتٍ ما .. أو وقع تحت إغراءات ما؟

فاكتشفوا أن الرجل أعلن أنه اختار الإسلام نتيجة بحثٍ

ودراسة لسنوات، وبعد قراءات وتأملات طويلة فى القرآن والأحاديث وكتب التفسير المعتمدة، حدث هذا التحول فى وجدانه وعقله، وكان ذلك قبل أن يصل إلى السعودية، وهذا ما حدث للسفير الآخر الذى سبقه «شيالوجا» فى عام ١٩٨٨م، وكان وقتها دبلوماسيًا يمثل بلاده فى نيويورك، ويشغل منصب نائب المندوب الدائم لإيطاليا لدى الأمم المتحدة.

* * *

٨

لقاء فى استانبول

قبل سنوات سافرتُ إلى «أذربيجان» لحضور اجتماع الأمانة العامة للقيادة الإسلامية العالمية فى العاصمة «باكو»، وفى طريق العودة إلى القاهرة قضيتُ ليلتين فى فندق «هوليداى إن» فى مدينة «استانبول».

التقيتُ مصادفةً فى هذا الفندق بأخٍ بلجيكى مسلم. لقد أخبرنى هذا الأخ عن قريبٍ له يعمل فى مقر حلف شمال الأطلسى (NATO) بمدينة «بروكسل»، وقد سمع الأخ البلجيكى المسلم من قريبه الذى يعمل فى مقر منظمة هذا الحلف هذه القصة المثيرة للألم والتعجب:

فى إحدى الحانات (BAR) الواقعة فى شارع «روزفلت» بمدينة «بروكسل» جلس هذا القريب مع عضوٍ بارز فى منظمة هذا الحلف يحتسيان الخمر. كانت شبكة الأخبار العالمية (.C.N.N) تُبثُّ ـ مصادفةً ـ برنامجًا عن العالم الإسلامى.

فجأة وبعد أن لعبت الخمرُ برأس هذا العضو البارز قال هذا العضو وهو يهذى من شدة الخمر:

«إن العالم الإسلامى يجب أن يذهب كما ذهب الاتحاد السوفيتى، وقد وضع الحلف خطةً متكاملة لتنفيذ هذا الهدف!!!».

ثم قال:

هناك اتفاقٌ بين أوروبا والولايات المتحدة والفاتيكان على تفاصيل هذه الخطة !!!

وقد بدأ تنفيذها بإثارة الحرب بين العراق وإيران من جهة وبين العراق والكويت من جهة أخرى !!!

إننا - يقول هذا المسئول - نحن الذين وضعنا «سيناريو» هاتين الحربين !!! وكان الهدفُ - كمرحلة أولى - تدمير القوتين العسكريتين لكل من إيران والعراق؛ لمصلحة إسرائيل من ناحية، ولإيقاع الخلاف بين العرب والعرب من ناحية، وبين العرب وإيران من ناحية أخرى..!!!

والسودان ... إننا لا نهتم بمشكلة الأقليات إلا حين يكون ذلك لصالحنا.! والذى يحدث فى السودان خُطِّط له منذ أيام الملكة فكتوريا..! فالسودان بحدوده الواسعة وإمكانياته الهائلة مصدر خطر وقلاقل .. فالمسلمون - مثلا - يشكلون أغلبية فى معظم أقطار شمال وغرب وشرق ووسط إفريقيا، حتى فى أثيوبيا يمثل المسلمون الغالبية العظمى.! ويمكن فى حال استقرار السودان أن تلتحم هذه الأغلبيات فى وحدة إسلامية تهدد بل تدمر جميع مصالحنا.!!!

يُقال مثل ذلك عن نيجيريا .. لقد اضطرت نيجيريا تحت ضغوط عملائنا إلى تجميد عضويتها فى منظمة المؤتمر الإسلامى.! إن نيجيريا معرضة للتقسيم فعلاً .. وما حدث فى «بيافرا» بقيادة (أوجوكسى) يمكن أن يتكرر حدوثه لو أحسسنا بأى تحرك إسلامى أصولى فى نيجيريا.!!!

كما أن هناك «بؤراً» مرشحة لإثارة أسباب التوتر والانقسامات فى الشرق الأقصى، يأتى فى مقدمتها كل من «باكستان وأفغانستان، وماليزيا».

* * *

٩

الجهل بالتاريخ

فى برنامج أذيع على قناة (شبكة الإذاعة المسيحية) من فرجينيا؛ قال رجل أمريكى اسمه (بات روبنسون) ـ يقال إنه كان مرشحًا لرئاسة الولايات المتحدة ـ قال فى إحدى حلقات برنامج بثه هذه الإذاعة:

إن المسلمين العرب كانوا هم تجار الرقيق فى إفريقيا، ثم يتعجب ويندهش من كثرة دخول الأمريكيين الزنوج فى الإسلام ويتساءل:

«كيف يعتنق هؤلاء الأمريكيون الزنوج (دين) الذين استرقُّوهم أو استرقُّوا آباءَهم وأجدادهم؟!»

وأحمدُ اللهَ أن مثل هذا الحقود الجاهل لم يصل إلى البيت الأبيض، وإلاَّ كان أول عمل يقوم به إصدار قرار رئاسى بمحو العرب والمسلمين فى جميع أنحاء العالم..!! ولست أدرى كيف غاب عن هذا الحقود الجاهل تاريخ الولايات المتحدة؟

وكيف يجهل أبسط الحقائق التاريخية فى تاريخ بلاده ووطنه؟!

ثم كيف غابت عن رجال الدين فى أمريكا هذه الحقائق التى يعرفها أى قارىء لتاريخ أمريكا ..؟

إننى لا أريد نبش القبور، لكن حين تهدر الحقائق، ويُدفَن

الحق فى أعماق المقابر، يصبح من الواجب كشف القناع وإزاحة الستار عن هذا الحق وعن هذه الحقائق..

لقد كان الرق نظامًا طبيعياً عند اليونان، وقد أقره فلاسفتهم جميعًا، بل إن أفلاطون اعتبره عملاً ضرورياً لا يمكن الاستغناء عنه، وكان قاسيًا فى النظام الذى سَنَّهُ لعقاب الأرِقاء فيما يسمى بالجمهورية الفاضلة التى كان يحلم بها . .

ومن رأيه أن الرحمة إذا وجبت بالأرقاء فليس لأنهم أناس يستحقون الرحمة؛ بل لأنهم فقراء أخِسَّاء لا يليق بالأحرار أن ينزلوا إلى عقابهم وإيذائهم.

وقد اشتركت الحضاراتُ القديمة كُلُّها فى هذه الجريمة؛ فالقانون الرومانى ـ الذى لا يزال معمولاً به فى أوروبا ـ كان يرى الرق شيئًا طبيعياً، وكان يبيحٍ للدائن أن يبيع مَدِينَه إذا عجز عن الوفاء، بل كان الرومان يعدون الأسرى والسبايا وسكان البلد المفتوح مِلكًا للفاتح يتصرف فيهم كيف يشاء، فله أن يقتلهم، ومن حقه أن يستعبدهم، ومن حقه أن يبيعهم.

كذلك كان النظام فى بلاد الفرس.

وفى الهند كان القانون يُقَسِّم الناس إلى أربع طبقات، فى قمتها البراهمة، وفى قاعها «الشودر» أو المنبوذون.

أما عند اليهود فقد عُرِفوا بهذه النزعة الهمجية . . فهم يرون أن جميع الناس ـ ما عدا اليهود طبعًا ـ إنما خلقهم الله ليكونوا فى خدمة اليهود. وكان الإسرائيليون يسترقُّون جميع النساء والأطفال

فى البلد الذى يغلبونه. . . أما الرجال فقد كانوا يضربون رقابهم بحد السيف ويفنونهم جميعًا كما أمرتهم الكتب التى يقدسونها.

وفى سفر التكوين: «أن حام بن نوح - وهو ابن كنعان - كان قد أغضب اباه. . لان نوحًا سكر يومًا. . ثم تعرّى وهو نائم. . فأبصره حام كذلك. . فلما علم نوح بهذا بعد استيقاظه، غضب ولعن نسله الذين هم بنو كنعان. . . أى العرب. . . أو الفلسطينين. . . !!!

وقال: ملعون كنعانُ عبدُ العبيد يكون لإخوته. . . وليكن كنعان عبداً لهم . . .».

وبذلك تأكد الاعتراف بالرق فى كتبهم التى يرون قداستها . . وبما أن المسيح . . . قد جاء ليكمل الناموس. . . أى الشريعة اليهودية ولم يجىء لينقضها، فقد أقرت المسيحية الرقَّ الذى أقره اليهود من قبلُ . . . ولم يجىء فى الإنجيل نصٌ واحد يحرِّمه أو حتى يستنكره.

بل إن بولس الرسول قال فى رسالته إلى أهل (أفسس) الأصحاح السادس: «أيها العبيد . . أطيعوا سادتكم حسب الجسد بخوف ورعدة فى بساطة قلوبكم كما للمسيح لا بخدمة العين، كمن يُرضى الناس، بل كعبيد للمسيح».

كذلك فعل القديس بطرس. . .

ثم جاء توماس الأكوينى الذى مزج رأى الدين بالفلسفة، فلم يعترض على الرق بل زكّاه لأنه حال ضرورية.

بل نصح القديس (أريدورروس) الأرقاء ألاّ يطلبوا الحرية حتى لو امرهم أسيادهم بذلك؛ لأن البقاء فى العبودية يخفف عن العبد الحساب يوم القيامة، وأن المساواة التى تعنيها المسيحية ليست هنا بل فى مملكة السماء . !!!

وفى معجم (لاروس) وهو معجم فرنسى كتبه أساتذة مسيحيون وردَ بالنَّص: «لا يعجَبِ الإنسانُ من بقاء الرق واستمراره بين المسيحيين إلى اليوم، فإن رجال الدين المسيحى يقرون بصحته ويسلِّمون بمشروعيته، ولم يثبت مطلقًا أنهم استنكروه أو طالبوا بإلغائه».

وفى قاموس الكتاب المقدس للدكتور (جورج يوسف) تأكيدٌ لما جاء فى معجم لاروس وتكرار لكل ما قاله، وما جاء فيه:

«لقد حدث منذ عشر سنوات أن قامت الكنيسة بأغرب عملية اختطاف واسترقاق . . . وكان لها ضجة عالمية.

فقد ثبت أن الكنيسةَ الكاثوليكيةَ قامت بحملات منظمة لبيع وشراء الفتيات من ولاية كيرالا الهندية . . . وحين أُجرى التحقيق اعترف الكاردينال بأن هذه العملية كانت تتم بعلم البابا ورعايته . . . ؟!!».

وعندما جاء الإسلام كان الرق ـ كما يقول الفيلسوف الألمانى (جوته) ـ حكمةً فى رأى بعض الفلاسفة . . (وضرورةً) . . كما يزعم الطغاة والجبابرة . . (وقدَرًا) كما كان يتكلم المتحدثون باسم الدين.

فماذا فعل الإسلام؟

كان أول ما فعل أن أبطل وألغى كل أنواع الاسترقاق المعروفة فى ذلك الوقت، وتريث بالنسبة لنوعين فقط من أنواع الرق .. هما: **رق الحرب، ورق الوراثة.**

تريثَ بالنسبة لهذين النوعين فقط؛ جريًا على عادته فى علاج الأمور بالتدريج خطوة خطوة ... كما فعل مع الخمر.

ثم فرض بعد ذلك على هذين النوعين من الرق كثيراً من القيود التى تقضى عليهما فى نهاية الأمر.

بالنسبة لرق الوراثة؛ قرر الإسلام أن الأمة التى تلد ولداً من سيدها يصبح هذا الولد حراً على الفور متى اعترف به السيد.

أما بالنسبة لرق الحرب؛ فقد قرر الإسلام أن أسرى الحرب بين طائفتين مسلمتين لا يُسترقون أبدًا، فلا يجوز لمسلم أن يسترق مسلمًا.

أما الأسرى الذى يؤسَرون فى حروب بين المسلمين وغير المسلمين؛ فقد قرر الإسلام: أنه لا يصح استرقاقهم.. إلا بشروط، أهمها أن تكون هذه الحرب حربًا شرعية؛ أى يجيزها الإسلام، فإذا كانت هذه الحرب مما لا يجيزه الإسلام، فلا استرقاق لأحد من المأسورين.

وحتى لو كانت هذه الحرب مما يجيزه الإسلام، وكان الطرف الآخر هو المعتدى، فإن الاسترقاق ليس شيئًا حتمياً؛ بل يجوز

للإمام أن يطلق سراح الأسير بدون فدية أو بفدية، أو نظير عمل يقوم به ـ كما حدث فى بدر ـ، أو فى نظير أسرى من المسلمين عند العدو.

والقرآن الكريم لم يتعرض لكلمة الاسترقاق أبدًا.

﴿إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً﴾ [محمد: ٤].

وبهذا يتبين ما فعله الإسلام حيال مصادر الرق .. لقد قضى عليها جميعًا ما عدا اثنين، ثم قيَّد هذين الاثنين بقيود تقضى عليهما فى النهاية.

يقول (فاندبرج) :

«لقد وضع الإسلام قواعد جليلة للرقيق تدل على ما كان ينطوى عليه محمد ﷺ من شعور إنسانى نبيل يناقض كل المناقضة تلك الأساليب التى كانت تتخذها إلى عهد قريب شعوبٌ تدَّعى أنها تمشى فى طليعة الحضارة.

لهذا كان كثيرٌ مِن الرقيق يفضِّل حياةَ الرق فى ظلال هذه المبادىء على الحرية الوهمية فى بلاد وأمم تسترقُّ شعوبها بالجملة».

هذا هو موقف الأديان .. وموقف الإسلام.

فماذا فعلت أوروبا ...؟

* * *

عندما اتصلت أوروبا بإفريقيا؛ كان هذا الاتصالُ مأساةً إنسانية عرَّضت سكان هذه القارة لليل طويل استمر خمسة قرون متوالية.

مأساة اشتركت فيها كل شعوب أوروبا، وبخاصة الأسبان والبرتغاليين والإنجليز، كان يتم اصطياد الرقيق من سواحل إفريقيا بعد إشعال النار فى الأكواخ التى يعيشون فيها.

كان يموت فى عملية القبض جماعات كثيرة. وكان ثلث الباقين يموت أثناء عملية الشحن أثناء الرحلة؛ أما مَن كانوا يموتون فى المستعمرات فلا حَصْرَ لهم، لقد دخل مستعمرة (جامايكا) عام ١٨٢٠ حوالى ٨٠٠,٠٠٠ (ثمانمائة ألف) مات منهم نصف مليون فى سنة واحدة!. إن بريطانيا اختطفت حوالى ثلاثة ملايين من شواطىء إفريقيا.

وكانت القواعد التى يتجمَّع فيها هذا الرقيق قبل تصديره إلى أمريكا فى (ليفربول ولندن وبريستول ولانكشير)، وكانت الملكة إليزابيث الأولى تشارك فى هذه العملية، وكانت شريكة لـ (جون هوكنز) أكبر تاجر رقيق فى تاريخ العالم، وقد أنعمت عليه الملكة بلقب سير، وجعلت شعاره رقيقًا يرفل فى القيود والسلاسل..!

والشيءُ المحزن ... لأنه لا يزال فى هذا العصر من يطلق عليهم لقب فلاسفة، ومن هؤلاء رجل اسمه (لونج)، هذا الفيلسوف العنصرى يقول فى كتابٍ اسمه (تاريخ جامايكا) - إحدى دويلات البحر الكاريبى -.

يقول هذا العنصرىّ المتفلسف عن الزنوج:

«إنهم غير خليقين بالحياة .. إنهم لا يزيدون عن القرود التى تتعلم لتأكل وتشرب، وإن قيمتهم لا تزيد عن قيمة أية سلعة تباع فى الأسواق!».

وهناك قضية مشهورة عُرفت بقضية السفينة (زرنج)، هذه السفينة شُحنت بمجموعة من المختطفين من شواطىء إفريقيا ... كما رأينا ذلك فى فيلم (الجذور)، لقد حدثَ أن كابتن هذه السفينة وهو فى طريق عودته إلى أمريكا ألقى فى البحر بمائة وثلاثين زنجياً بحجة نقص الماء فى السفينة، وحين رُفعت هذه القضية إلى المحكمة. (وارجو الأّ يخطر ببالكم أن رفعَ الأمر إلى المحكمة كان بسبب إلقائهم فى البحر .. ولكن بسبب آخر فى منتهى القسوة والهمجية..). لقد كان تجار الرقيق ينتظرون وصول هذه الشحنة التى دفعوا ثمنها مقدمًا، فكيف نقصت هذه الشحنة .. ونقص العدد ١٣٠ عبداً..؟

إن السبب تجاري بحت لا صلة له بالشرف ولا بكرامة الإنسان.. ولا بحقوق هذا الإنسان الأسود الذى لا يُعترف به كإنسان.

لهذا حكمت المحكمة ببراءة هذا الكابتن المتوحش من تهمة إفساد البضاعة، بل كان عمله ضرورياً للحفاظ على بقية الصفقة!!!

* * *

١٠

الخطر الإسرائيلى!

إن الحرب التى تدور رحاها اليوم على الشعب الفلسطينى قد تكون آخر الدروس التى يلقيها القدر، ويلقيها العدل الإلهى على بنى الإنسان.

إن العبرانيين الذين لم يحكموا فلسطين إلاَّ مائة وثلاثة عشر عامًا على امتداد أكثر من أربعين قرنًا - يُثبتون اليوم سرابهم وباطلهم بالأسلحة المدمرة الفتاكة؛ بعد أن خدعوا العالم وحملوه على الصمت؛ بل على المشاركة فى ارتكاب جريمة القرن العشرين؛ بل جريمة كل القرون!!

والصهيونيون الفاشيون يَنْسَوْنَ أو يتناسون فضل الإسلام على الجنس اليهودى كله...

فبينما كان اليهود يذوقون الهول والهوان من أوروبا المسيحية كان الإسلام يؤويهم ويهيئ لهم مكانًا آمنًا فى قلب الجماعة الإسلامية.

كانت أوروبا المسيحية ترى فيهم (قتلة الرب) و(جلاَّدى المسيح)، بينما كان الإسلام يرى فيهم أهل الكتاب .. هم المسيحيون شركاء فيما يمنحهم المجتمع الإسلامى لأهل الكتاب من أمنٍ ورفاهية وسلام.

لم يحمل ذلك روَّاد الصهيونية فيما غبر من أيام، كما لم

يحمل قادتهم الفاشيين اليوم على الخجل من الجرائم البشعة التى يجترحونها فى فلسطين وفى لبنان.

فى كتابٍ ظهر فى الولايات المتحدة اسمه «النبوءةُ والسياسة» لمؤلفة أمريكيّة اسمها «جريس هالسل»؛ أى ليست عربية ولا مسلمة. تقول هذه الكاتبة عن كاتبٍ أمريكى اسمه «هال لندسى» من كتاب له اسمه «آخِر كُرةٍ أرضية»[1]:

«إن إسرائيل هى الخط التاريخى - أى الأساس التاريخى - لمعظم أحداث الحاضر والمستقبل. وقبل أن تقوم دولة إسرائيل لم تكن تعرف أى شىء... !!».

واستناداً إلى هذه النبوءات فإن العالم كله سوف يتمركز فى الشرق الأوسط .. وبخاصة على إسرائيل . إن كل الأمم سوف تضطرب .. وسوف تصبح متورطةً هناك[2].

ثم تقول:

«إن الجيل الذى وُلد فى عام ١٩٤٨م، سوف يشهد العودة الثانية للمسيح - أى فى هذه السنوات -!!! ولكن قبل هذا الحديث علينا أن نخوض حربين:

الأولى: ضد يأجوج ومأجوج.

والثانية: فى «هرمجدون».

(١) نقل هذا الكتاب إلى اللغة العربية - الأستاذ محمد السماك - ونشرته جمعية الدعوة الإسلامية فى ليبيا.

(٢) لقد انتهى كل شىء يا «لندسى»!، ولم يعد هناك قلق ولا اضطراب!!

وستبدأ الحرب باتحاد العرب مع الاتحاد السوفيتى فى مهاجمة إسرائيل[1]. . !!!

«وأن عيسى المسيح سوف يضرب أولاً أولئك الذين دنسوا مدينة القدس، ثم يضرب الجيوش المحتشدة فى ماجيدو أو هرمجدون. . . فلا غرابة أن يرتفع الدم إلى مستوى ألجمة الخيل مسافة ٢٠٠ ميل من القدس. وهذا الوادى سوف يُملأ بالأدوات الحربية، والحيوانات، وجثث الرجال والدماء. .» !!!

ويكتب «ليندسى» أيضًا: «إن الأمر يبدو وكأنه لا يُصدَّق !! إن العقل البشرى لا يستطيع أن يستوعب مثل هذه الإنسانية من الإنسان للإنسان . . . ومع ذلك فإن الله يمكِّن طبيعة الإنسان من تحقيق ذاتها فى ذلك اليوم؟!».

إن «ليندسى» لا يبدو عليه الحزن عندما يعلن أن كل مدينة فى العالم سيتم تدميرها فى الحرب النووية الأخيرة.

إن القوة الشرقية وحدها سوف تُزِيلُ ثُلثَ سكان العالم.

ويقول (لندسى): «عندما تصل الحرب الكبرى إلى هذا المستوى؛ بحيث يكون كل شخص تقريبًا قد قُتل، تحين ساعة اللحظة العظيمة، فينقذ المسيحُ الإنسانية من الاندثار الكامل. .»!!!

وفى هذه الساعة سيتحول اليهود الذين ينجون من الذبح إلى المسيحية . .

---

(١) لقد ذهب الاتحاد السوفيتى ولم تبدأ الحرب . !!!

ويقول (ليندسى): «سيبقى فقط ١٤٤ ألف يهودى على قيد الحياة بعد معركة هرمجدون.. وسينحنى كل واحد منهم.. الرجل والمرأة والطفل أمام المسيح، وكمتحولين إلى المسيحية فإن كل الناضجين سوف يبدأون التبشير ببشارة المسيح!!!

والسؤال هو:

هل يأتى المسيح لتخريب العالم، وإبادة القرى والمدن، وإزهاق أرواح الملايين من البشر من أجل أن تبقى إسرائيل ـ وحدها ـ هى سيدة العالم؟!!!

والمصيبة الكبرى أن (الكاثوليك) ممثلين فى (الفاتيكان) كان لهم من إسرائيل موقفٌ متشدد، وكان الفاتيكان يفسر النبوءات تفسيراً يخالف ـ شكلاً وموضوعًا ـ تفسيرات رجال الدين (البروتستانت).. فأرض (الميعاد) لم تكن عند (الكاثوليك) تعنى منطقة جغرافية معينة.. بل كانت تعنى حقيقة روحية تشمل المؤمنين فى (مملكة الله) فقط.

وقد بيَّن المسيح عليه السلام أن مملكةَ الله ليست كيانًا سياسيا يلم شمل اليهود.. وإنما هى حقيقة روحية موطنها القلب:

«ولما سأله الفَريسيون: متى يأتى ملكوت الله؟ أجابهم وقال: لا يأتى ملكوت الله بمراقبة. ولا يقولون هو ذا ها هنا. أو هو ذا هناك؛ لأن ملكوت الله داخِلكم» ـ (لوقا: ١٧ ـ ٢٠).

وطبقًا للعهد الجديد؛ فإن ورثة أرض الميعاد الروحية ليسوا بنى

إسرائيل. وإنما هم جميع المؤمنين بالمسيح؛ لأنهم نسل إبراهيم الحقيقيون.

يقول القديس بولس:

«فإن كنتم للمسيح فأنتم إذًا نسلُ إبراهيم .. وحسب الموعد ورثة».

وشعب الله المختار ـ فى العهد الجديد ـ ليس جنسًا بعينه هو ما يسمى بالجنس الإسرائيلى .. وإنما هو شعبٌ عالمى من مختلف الأجناس يجمعه الإيمان بالمسيح:

«وأما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطانًا أن يصيروا أولادَ الله» ـ (يوحنا ١ : ١٢).

والمسيح ذاته أدان اليهود، وقرر أنهم فقدوا امتياز الاختيار حين قال لهم:

«لو كان الله أباكم لكنتم تحبوننى .. أنتم من أبٍ هو إبليس. وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا» ـ (يوحنا ٨: ٤٢) ـ.

كما حكم المسيح على اليهود بالجحيم بسبب إنكارهم له. وقرر أنهم لن يكونوا فى الجنة مع إبراهيم وإسحاق ويعقوب.

«وأقول لكم: إن كثيرين سيأتون من المشارق والمغارب، ويتكئون مع إبراهيم وإسحاق ويعقوب فى ملكوت السموات، وأما بنو الملكوت اليهود فيُطرحون إلى الظلمة الخارجية .. هناك يكون البكاء وصرير الأسنان» .. (متّى: ٨/١١ ـ ١٢) ـ.

ولسوف يدرك العالم فى يوم قريب ـ بل لعله بدأ يدرك ـ أن الصهيونية لم تكن ولن تكون تحديًا للعرب وحدهم، بل كانت وستظل تحديًا للعالم كله، وللإنسانية جمعاء.

* * *

ولعل فِريةً ما لم تَلْقَ فى التاريخ نجاحًا كهذه الفرية التى اسمُها «معاداة السامية» Antisemism اخترعها اليهود سلاحًا يحاربون به الإنسانية فى جميع صورها. وفسّروا للعالم أن العداء لليهود هو عداء للسامية أو للجنس السامى. ونجح اليهودِ بصفاقتهم المعهودة فى إخفاء (اليهودية) وراء هذه الكلمة التى سموْها معاداة السامية، مع أن الحق ـ كل الحق ـ أن تكون (معاداة اليهودية)، ومعلوم أن الجنس السامى لا يقتصر على اليهود بل على أمم وشعوب كثيرة، أهمها الأمة العربية التى تشكل اليوم الجزء الأكبر من الجنس السامى. وقد تعامَى الغرب – الذى تستعبده اليهودية العالمية – عن الحقيقة الكبرى، وهى أن الأمة العربية اليوم ـ وهى أصل الجنس السامى ـ تتعرض لعدوان اليهودية العالمية والصهيونية، ومع ذلك تنطلى على الغرب الأعمى فرية اليهود ودعواهم أنهم مضطهدون لأنهم ساميون وليس لأنهم يهود[1].

* فاليهود كانوا يشنون الحروب على الأمم أو يتسببون فى وقوع الحرب بين الشعوب، وحينما تُكتشف أصابعهم الخفية وتشرع الشعوب فى اتقاء شرهم ودرء خطرهم يصيحون: معاداة السامية..!

---

(١) انظر فى هذا الموضوع كتاب «خطر اليهودية العالمية» تأليف عبد الله التل صفحة ١٧٣ وما بعدها ـ دار القلم ـ القاهرة ـ ١٩٦٤م.

* حين أضرموا نار الحروب الدينية التى التهمت ملايين المسيحيين فى أوروبا، واكتشف الناس أصابعهم فيها «صاحوا معاداة السامية»..!

* حين أضرموا نار الحربين العالميتين الأولى والثانية وتسببوا فى قتل أكثر من ثمانين مليونًا صاح اليهود: «معاداة السامية»..!

* وحين تولت أسرة ساسون فى القرن التاسع عشر (١٨٣٢ - ١٨٦٤م) تجارة الأفيون فى الصين وثار أحرار البلاد صاح اليهود: معاداة السامية ..!

* حين تململ الشعب الروسى من طغيان ستة ملايين يهودى وأخذ يحد من نفوذهم وجشعهم ومؤامرتهم صاح اليهود: معاداة السامية..!

* حين اكتشف الإنجليز مناجم الذهب والماس فى الترنسفال بجنوب إفريقية فى أواخر القرن التاسع عشر وهرع المغامرون لاستغلالها، ثار شعب البوير السكان الأصليون فصاح اليهود: «معاداة السامية»..!

* ثم أكرهوا الإنجليز على خوض الحرب التى قصفت أعمار آلاف الشباب البريطانى لتأمين وصول الذهب والماس إلى خزائن اليهود فى بريطانيا، ولم تزل أغلب أسهم مناجم الذهب والماس ملكًا لليهود.

* كلما أمعن اليهود فى سرقة أموال شعب من الشعوب وامتلاك مصادر ثروته المعدنية والزراعية والتجارية، وضَجَّ أحرار ذلك الشعب صاح اليهود: معاداة السامية . . !

* كلما فضَّل مواطنٌ من المواطنين فى مختلف أنحاء العالم مصلحةَ بلاده على مصلحة اليهود المستغلين الجشعين صاح اليهود: معاداة السامية. . !

* كلما طغى إرهابُ الربا الفاحش، وتحوَّل إلى سلاح مدمِّر يهدِّد اقتصاد البلاد وحياةَ الشعب، وانتفض أحرار البلاد وهاجموا الربا صاح اليهود: معاداة السامية. . !

* إذا ضج الناس من غلاء الأسعار واحتكار مواد التموين من قِبل اليهود، وإذا اختنق الشعب من ذلك الاحتكار واحتج بعض أحرار البلاد صاح اليهود: «معاداة السامية». . !

* إذا طالب صوتٌ حر أن تمتنع الأحزاب فى بريطانيا وأمريكا عن الزج بأصوات اليهود الانتخابية فى توجيه سياسة البلاد حرصًا على مصلحة الوطن، صاح اليهود وقالوا: معاداة السامية. . ! وتآمروا على ذلك الصوت لخنقه كما حدث مع فورستال وزير الدفاع فى حكومة ترومان، الذى قتله اليهود وقالوا إنه انتحر لأنه من معتنقى معاداة السامية. . !

* إذا عمَّ الإرهاب اليهودى جميع مرافق البلاد وروَّع الشعب الآمن وتحركت بعض الأقلام الشريفة لانتقاد الأوضاع التى يخلقها اليهود، صاح اليهود: «معاداة سامية». . !

* إذا أمعن اليهود فى الغدر والخيانة، وخاصة للبلد الذى يأويهم ويعطف عليهم ويمنحهم فرصة العيش بأمان وسلام، وإذا قال الشعب إن جميع الجواسيس ضد ذلك البلد هم من اليهود، صاح اليهود: «معاداة السامية»..!

* حين ألقى القبض فى روسيا السوفيتية على عدد من الأطباء اليهود سنة ١٩٥٣م بتهمة قتل ضحايا بريئة بالإبر المسمومة، صاح اليهود: «معاداة سامية»..!

* حين تنشر بعض الصحف أن أطباء اليهود يجرون تجارب على بعض المرضى من غير اليهود بأن يحقنوهم بخلايا سرطان حية من غير رضاهم، ويحتج المرضى ويرتفع صوت استنكار لهذا العمل الوحشى الذى يساوى الإنسان بالحيوان، يصيح اليهود فى أمريكا: «معاداة السامية»..!!

عندما كُتب دستور الولايات المتحدة ألقى الزعيم الأمريكى (بنيامين فرانكلين) خطابًا مهمًا فى تلك المناسبة، حذَّر فيه المواطنين الأمريكيين من خبث اليهود وخطرهم على أمريكا فى المستقبل ... وفيما يلِى نص الجزء الكامل من خطاب (فرانكلين) الخاص بخطر اليهود:

«هناك خطر كبير على الولايات المتحدة الأمريكية .. وهذا الخطر هو اليهود ..»..!!!

أيها السادة: فى أى أرض يحل اليهود يُصبحُ المستوى الخُلُقِى منحطاً، والمعاملات التجارية تجرى بصورة غير شريفة ... !!!

بقى اليهود منطوين على أنفسهم، وظالمين فى معاملاتهم مع الناس، وحاولوا خنقَ مالية الدول مثلما جرى فى البرازيل، وأسبانيا . .

أيها السادة: بكَى اليهود مصيرَهم المحزن منذ أكثر من ١٧٠٠ سنة بسبب طردهم من وطنهم الأم . . . ولو أن العالم قدَّم فلسطينَ إلى اليهود ملكًا لهم، فإنهم سيجدون أسبابًا قوية لعدم العودة إليها؛ لأنهم يبتزون الأموال . . ولا يستطيعون العيش بعضهم مع بعض . . ولا بد لهم من العيش بين المسيحيين وغيرهم من الشعوب التى لا تنتمى إلى جنسهم . . وإذا لم يُطرد اليهود من الولايات المتحدة الأمريكية بموجب نصوص الدستور، فإنهم سيقدُمون على بلادنا خلال المائة عام القادمة بأعداد كبيرة تؤدى إلى أن يحكموا البلاد ويديرونها، ويغيروا شكل حكومتنا . . وهى الأمور التى بذلنا نحن الأمريكيين فى سبيلها دماءنا وأرواحنا، وممتلكاتنا، وحياتنا الخاصة.

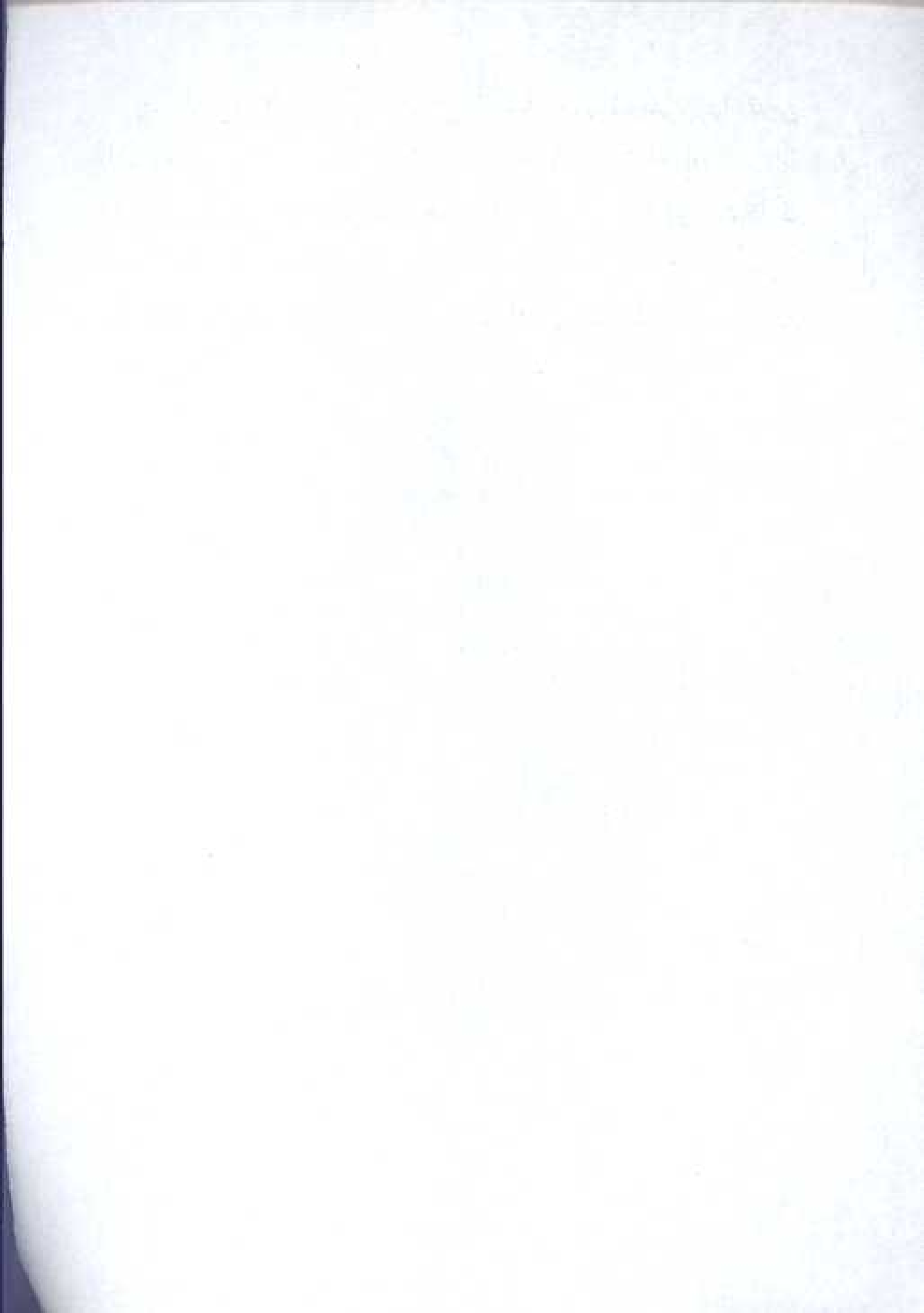
وإذا لم يطرد اليهود من بلادنا خلال مائتى عام . . فإن أطفالنا سوف يعملون فى الحقول لإطعام اليهود . . بينما يقيم اليهود أنفسهم فى قصورهم يفركون أيديهم فرحًا وسرورًا . . !!!

إنى أحذركم أيها السادة . . . وأقول لكم:

إذا لم تُخرجوا اليهودَ من أمريكا إلى الأبد فإن أولادكم وأحفادكم سيلعنونكم فى قبوركم . . !!!

إن اليهود لا يتحلَّوْن بالمثل العليا التى نتحلى بها نحن الأمريكيين .. حتى لو عاشوا بيننا طيلة عشرة أجيال .. إن الفهد لا يستطيع أن يغيِّر لون جلده الأرقط .. إن اليهود يشكِّلون خطراً على أمريكا إذا سُمح لهم بدخولها .. وسوف يُعَرِّضون مقوِّماتنا الاجتماعية للخطر .. لذلك يجب أن يخرجوا من بلادنا..!!!

* * *



١١

العصر الأمريكى القبيح..!

صبيحة اليوم الذى أكتب فيه هذا المقال نشرت صحيفة «ميل أن صنداى»[١] «MAIL ON SUNDAY» خبراً فى غاية الغرابة؛ يقول هذا الخبر: «إن الولايات المتحدة لا ترحب بزيارة الأمير «تشارلز» ولىّ عهد بريطانيا بسبب تصريح قال فيه: إن الحرب على العراق سوف تكون لها نتائج وخيمة على العلاقات بين الإسلام والغرب، أو بين المسيحية والإسلام.

ولهذا جن جنون البيت «الأسود» وأعلن رفضه لزيارة الأمير وعدم ترحيبه بهذه الزيارة!

ألم يكن «رجاء جارودى» على حق حين قال: إن أمريكا هى طليعة الانحطاط فى هذا العصر»[٢] ؟!!

فى الأربعينيات من القرن الماضى كانت تصدر فى القاهرة مجلة اسمها «الكاتب المصرى» كان يرأس تحرير هذه المجلة المرحوم الدكتور «طه حسين» لقد قرأت فى هذه المجلة مقالاً بأقلام كتاب أمريكيين .. يقول هذا المقال:

لقد وصلت أمريكا إلى مرحلة من الحضارة الزائفة دفعت كثيراً مِن خيرة كتّابها ومفكريها إلى أن يحاولوا تمزيق حجب الزيف

---

(١) الأحد ٢٩/ ١٢/ ٢٠٠٢م.

(٢) الناشر دار الشروق فى القاهرة.

والخداع، وكشف ما وراء الظواهر البراقة من بؤس وشقاء ويأس وبكاء. وقد بلغ بعض هؤلاء الكتاب الواقعيين فى وصف الحياة الأمريكية والنقد حداً بالغًا من القسوة والازدراء.

ونظروا إليها بمنظار أسود لا تبدو فيه بارقة أمل..!

وقد أصدر الكاتب الشهير «شتاينبك» STEINBECK فى وصف هذه الحياة كتابين: أحدهما: اسمه «عناقيد الغضب» THE GRAPES OF WRATH. أما الكتاب الثانى فاسمه «MICE AND MEN» ومعناه «بشر وفئران».

وهناك كاتب آخر اسمه «فرنون سليفان» VERNON SULLIVAN ألَّف رواية يصف فيها البشاعة والخوف والقلق الذى يعيش فيه الشعب الأمريكى، وقد اختار اسمًا قاسيًا لهذه الرواية التى صادرتها السلطات الأمريكية. أما العنوان الذى اختاره المؤلف لهذه الرواية فهو: «**سوف أبصقُ على قبوركم**» !!! وقد اضطر الكاتب إلى الهجرة من أمريكا بسبب مطاردته من السلطات الفيدرالية، فاستقر فى فرنسا ونُشرت روايته فى أكبر دور النشر فى باريس.. وكل هذا كان فى منتصف الأربعينات من القرن الماضى..

لقد فقدت (الولايات المتحدة) مصداقيتها تمامًا فى العالمين الإسلامى والعربى - بعد انحيازها المطلق إلى إسرائيل...؟!!!

إسرائيل التى لا تزيد مساحتها عن مساحة أصغر محافظة فى السودان أو إيران أو ليبيا، والتى لا يزيد عدد سكانها عن سكان حى واحد من أحياء القاهرة هو (حى شبرا)...!

إسرائيل التى فُرضت فرضًا على المسلمين والعرب تقف وراءها أمريكا بلا تحفظ، وتنحاز إليها انحيازًا كاملاً ضد المسلمين والعرب .. المسلمون والعرب الذين يمثلون أكثر من خمسين دولة، والذين تزيد مساحة أقطارهم على أربعين مليون كيلو متر مربع، ويتحكمون فى مضايق العالم من (مالقا[1] إلى جبل طارق) ومن قناة السويس إلى باب المندب، وتمتد حدود بلادهم من المحيط الباسفيكى (شرقًا) إلى المحيط الأطلسى (غربًا)، المسلمون والعرب الذين يملكون مصادر الطاقة الرئيسة فى العالم، والذين يزيد عددهم عن ألف ومائتى مليون نسمة ؟!

هؤلاء المسلمون والعرب لا قيمة لهم فى نظر أمريكا.. وتنحاز ضدهم لحساب إسرائيل انحيازًا مطلقًا.

وهذا يعنى ببساطة أن الولايات المتحدة تشن حربًا صليبية على المسلمين فى مختلف أقطار العالم .. ودون مراعاة لمشاعر رد الفعل لدى هؤلاء المسلمين الذين لن يصبروا طويلاً على هذا العدوان الذى تجاوز حدود (الصبر) كما تجاوز حدود التفكير والعقل ... ولن يتأخر كثيرًا هذا اليوم الذى يردُّ فيه المسلمون على هذا العدوان.. يوم تقترب ساحة (الحسم) أو (يوم الحساب) والفصل.

والولايات المتحدة ـ كما قال: «برتراند راسل» ـ قبل أربعين عامًا تعيش فى أزمة .. منذ أصبحت لها مخالب نووية تغرسها

---

(١) فى ماليزيا.

فى وجه كل من يخالف سياستها أو يقف فى طريقها . . ! كما أنها تعيش فى نشوة غرور زائفة سرعان ما تتكشف عن فراغ هائل . . عندما تجد نفسها فى فراغ جليدى تقف فيه وحدها عارية . . أو شبه عارية . . !

* * *

إن ما درجنا على تسميته «اكتشاف أمريكا»، وتصفه اليونيسكو على استحياء بـ «التقاء الثقافات»، ويحتفل به البابا «جون بول الثانى» عام ١٩٩٢م بزهو كأنه «تبشير بالإنجيل للعالم الجديد»، هو فى حقيقته عام الاحتفال بمذابح الهنود، وبداية العهد الاستعمارى فى التاريخ الحديث[١].

لكن عام ١٩٩٢م يأتى مخلداً أيضًا لذكرى مرور خمسمائة عام على سقوط غرناطة، آخر مملكة للثقافة الإسلامية فى أسبانيا، الجسر الأخير بين الشرق والغرب. ظلت قرطبة طوال ثلاثة قرون مركزًا لإشعاع العلوم والفلسفة والآداب والفنون إلى كل أوروبا. وفى عام ١٤٩٢م سُلخت قرطبةُ عن الثقافة العربية الإسلامية، المصدر الثالث لحضارتها، مع الثقافة اليهودية المسيحية والثقافة اليونانية الرومانية.

---

(١) اقرأ: «٥٠٠ عام. الغزو مستمر» ـ د. ناعوم تشومسكى. دار الشروق ـ القاهرة.

فى عام ١٩٩٢م، سجلت حرب الخليج اكتمال العمل الذى بدأ فى عام ١٤٩٢م، وهو انقسام العالم إلى نصفين.

كشف تدمير العراق فى عام ١٩٩٢م عن حرب من نوع جديد[1]، حرب قائمة ليس فقط على استعمار دول أوروبية متنافسة، مثل ما كان من انجلترا وفرنسا، لكن على استعمار جماعى، متعدد الجنسيات متآلف تحت سيطرة الأقوى: الولايات المتحدة.

وقد حاولت الولايات المتحدة - مرة ثانية - تكرار الخطة العراقية فى مواجهة ليبيا. لكن كان يجب إيجاد ذريعة! وفى عام ١٩٨٦م حدث انفجار فى ملهى ليلىّ فى برلين أسفر عن مقتل جنود امريكيين، كما وقع هجوم آخر فى مطار روما. كان هذان الحدثان كافيين لتوجيه الاتهام إلى ليبيا؛ فتمَّت الإغارة عليها. حاولوا اغتيال القذافى عن طريق تدمير منزله. أسفرت الغارة عن ٥٠ قتيلاً فى طرابلس. واتضح بعد تحقيقات السلطات الألمانية والإيطالية، وعرف العالم كله، أن ليبيا بعيدة تمامًا عن هجمات روما وبرلين. !!

* * *

إن أمريكا لم تعد دولة. بل تحوَّلتْ إلى «عصابة» مهمَّتها

---

(١) اقرأ: «الحرب الحضارية الأولى» - د. المهدى منجرة.

نقلاً عن كتاب «حفّارو القبور» رجاء جارودى - الناشر دار الشروق - القاهرة.

الأولى فى العالم «صناعة القتل» وإشاعة «الهمجية والفوضى»، وإثارة «الفتن والقلاقل» فى وجه كل من يقف فى طريقها أو يعارض سياستها. وأمريكا لا ترى فى الغرب والمسلمين «ما يسر الخاطر»؛ بل تحولوا فى نظرها إلى إرهابيين وقتلة، وأصبح الإسلام فى نظر أمريكا هو الخطر الأكبر.!!!

وكما يقول (ويل ديورانت)[1]: «لقد تضمَّن تقدمنا فى العلم والتقنية مِسحةً من الشر مع الخير، ولعل ألوان الراحة والفائدة التى عادت علينا أوهنت قدرتنا البدنية على الاحتمال، وأضعفت طبعنا الأخلاقى.

فنحن طوَّرنا وسائل انتقالنا تطويراً هائلاً، ولكن بعضنا يستخدمها فى تسهيل الجرائم وقتل اخواننا أو قتلنا.!

وضاعفْنا سرعتنا مثنَى وثُلاث ومائة مرة، لكننا نحطم أعصابنا أثناء ذلك، وكأننا قردة ترتدى السراويل؛ سواء تحركنا بسرعة ألفَى ميل فى الساعة أو استخدمنا سيقاننا فى الحركة.! ونحن نصفق لأدوية الطب الحديثة وجراحاته إذا لم تؤد إلى آثار جانبية أسوأ من المرض، ونعجب باجتهاد أطبائنا فى سباقهم المجنون مع مرونة الميكروبات وقدرة المرضى على الابتكار، ونشكر لعلم الطب تلك السنين الإضافية التى يمنحنا إياها إذا لم تكن إطالة مرهقة للمرض والعجز والغم.!

---

(١) دروس من التاريخ، ويل ديورانت ـ الطبعة العربية د. على شلش ص١٨٢ وما بعدها.

وقد ضاعفنا مائة مرة قدرتَنا على العلم بحوادث اليوم والكوكب ونقلها إلى الغير، ولكننا أحيانًا نحسد أجدادنا الذين لم يكن يعكر سلامهم تعكيراً خفيفًا سوى أخبار قريتهم. !!

وقمنا مشكورين بتحسين ظروف الحياة للعمال المهرة والطبقة الوسطى، ولكن مدننا تتقيّح بالأحياء المظلمة التى تتكدس فيها الأقليات، والأحياء الفقيرة الموحلة القذرة. !

إننا نطرب لتحررنا من اللاهوت، ولكن هل أنشأنا أخلاقًا طبيعية ـ قانونًا أخلاقيا منفصلاً عن الدين ـ تكون من القوة بحيث تصون غرائزنا فى التملك والمشاكسة والجنس عن الانحطاط بحضارتنا إلى مستنقع من الطمع والجريمة والزنا؟

هل نحن كبرنا حقًا بحيث استغنينا عن التعصُّب، أم أننا لم نزد على تحويله من الأعمال العدائية الدينية إلى نظائرها الوطنية أو الأيديولوجية أو العِرْقية؟

هل تَحسَّنَتْ عاداتنا وتقاليدنا، أم ساءت عن ذى قبل؟

لقد قال أحد الرحّالة فى القرن ١٩ : «إن العادات والتقاليد تزداد سوءاً بصورة منتظمة كلما اتجهتَ من الشرق إلى الغرب، فهى سيئة فى آسيا، وغير حسنة جداً فى أوروبا، وسيئة تمامًا فى الولايات الغربية بأمريكا».

وها هو ذا الشرق اليوم يقلِّد الغرب، فهل أتاحت قوانيننا للمجرم حمايةً أكثر من اللازم ضد المجتمع والدولة؟

هل منحنا أنفسنا حرية أكبر مما يستطيع ذكاؤنا هضمه؟

أم أننا ندنو من فوضى أخلاقية واجتماعية كبيرة تجعل الآباء المفزوعين يهرعون مرة أخرى نحو الكنيسة الأم، ويرجونها أن تهذّب أولادهم، مهما كان الثمن الذى تتحمله الحرية العقلية؟

هل كان كل التقدم الذى أحرزته الفلسفة منذ ديكارت خطأ من خلال عجزها عن الاعتراف بدور الأسطورة فى تعزية الإنسان والسيطرة عليه؟ (لأن فى كثرة الحكمة كثرةَ الغم، والذى يزداد علمًا يزداد حزنًا)؟! ».

هذا ما قاله ديورانت عن الغرب ... وحضارة الغرب.

* * *

١٢

غارة تنصيرية جديدة على العالم الإسلامى

تحت عنوان «اللعبة الخطرة» نشرت صحيفة الأهرام المصرية هذا المقال الذى ينذر بالخطر ويهدد بلداً إسلامياً هو الجزائر.

لقد فكرتُ فى إرسال هذا المقال إلى الزعماء المسلمين فى الجزائر، غير أنى رأيتُ فى نشره فى صفحات جريدة الدعوة فائدة أكبر.

يقول الأستاذ «جمال زايدة»[1] كاتبُ المقال: فجأة انفجرت قضيةُ التبشير بالأديان باكتشاف عمليات تبشير واسعة بين قبائل البربر فى الجزائر، إذ أشارت المعلومات إلى أن ٦ من بربر الجزائر يتحوَّلون يوميًا إلى المسيحية، مما أدى إلى فتح الباب واسعًا لمناقشة تلك القضية بالغة التعقيد وذات التأثيرات بعيدة المدى على النسيج السياسى والاجتماعى لدول ما زالت تسعى إلى الاستقرار مثل الجزائر والسودان.

وتكمن خطورة القضية فى اتجاه عمليات التبشير إلى مجتمعات إسلامية، أوالعكس، فى أنه يترتب عليها انعكاسات واسعة المدى على الحقوق المدنية للأفراد من وراثة، وزواج ..إلخ، فضلاً عن حالة التوتر الاجتماعى التى توجِدُها هذه الظاهرة.

---

(١) جريدة الأهرام: ١٥/ ٤/ ٢٠٠١م.

وكانت جماعات أمريكية وأوروبية مدعمة بأموال ضخمة قد دأبت على الاتجاه إلى منطقة الشرق الأوسط بهدف التبشير منذ سنوات طويلة، حتى أن بعضها مارس التبشير فى مصر منذ القرن التاسع عشر بين أبناء الكنيسة القبطية الأرثوذكسية نفسها؛ بهدف جذب بعض أفرادها إلى اعتناق المذاهب الكاثوليكية، أو البروتستانية، ولذا فقد شهدت مصر نشأةَ بعض الكنائس الأخرى غير القبطية الأرثوذكسية منذ ذلك الوقت، ويتم طرح مسألة التحوُّل بين الأديان السماوية أو من الوثنية إلى الأديان السماوية تحت مظلة حقوق الإنسان؛ بدعوى أن لكل إنسان الحق فى التحول واعتناق ما يشاء من عقائد.

إلا أن التحفظَ الأساسى فى هذا المجال أن عمليات التبشير تَصْحَبها إغراءاتٌ مادية ومعنوية واسعة، وغالبًا ما تتجه إلى العناصر الأكثر هشاشة اجتماعيًا بفعل الفقر، والتى تعيش فى المناطق العشوائية على هوامش المدن أو القرى.

وهنا تكمن الخطورة فى أن عمليات التحوُّل لا تتم وفق الإرادة الحرة الواعية، وإنما بفعل عوامل أخرى.

ويُطرَح فى هذا السياق البعدُ السياسى وراء عمليات التبشير التى تتم فى العالم العربى، والذى يهدف إلى إيجاد نزاعات كبيرة بين أصحاب الديانات السماوية لزعزعة المنطقة وإثارة القلاقل فيها، وصرف الانتباه عن الحقوق المدنية والسياسية للمواطنين بشكلٍ عام.

في أعقاب مؤتمر «كلورادو» الذى عُقدَ فى الولايات المتحدة والذى قرر فيه المؤتمر تنصير جميع المسلمين فى العالم خلال خمسين سنة ..!

لم يتحرك فى العالم الإسلامى أحد ..!

وحين أعلن سكرتير عام هذا المؤتمر بأن المسلمين أصبحوا بين خيارين فقط هما: التنصير، أو الإبادة.

لم يتحرك فى العالم الإسلامى أحد ..!

وحين أعلن الفاتيكان أن الإسلام يجب أن ينتهى من إفريقيا فى أقرب وقت..!

لم يتحرك فى العالم الإسلامى أحد ..!

يحدث هذا ويقع، ويقال هذا ويُنشر، والمسلمون نيام كأهل الكهف، حيارى كمن خرج فجأة من القبر ..!

* * *

لقد نشرت مجلة العربى مقالاً تحت عنوان «عن التبشير بين اللاجئين المسلمين» بقلم فهمى هويدى يقول فيه:

اللاجئون المسلمون فى العالم الآن هم أساساً ضحايا نوعين من الكوارث: الحروب، والمجاعات، وليس هناك حصرٌ لأعدادهم، ولكنهم يُقدَّرون بالملايين[1] على أية حال. فإذا تابعنا مسرح تلك الكوارث على خريطة العالم الإسلامى فسوف نجد ما يلى:

---

(١) عشرون مليونًا.

* **بالنسبة للحروب**: حرب لبنان أفرزت حوالى نصف مليون لاجىء. حرب العراق وإيران، أدت إلى تشريد مليون شخص على الجانب الإيرانى. الاحتلال السوفيتى لأفغانستان، والمقاومة المسلحة له، كان من نتيجتها نزوحُ مليون شخص على الأقل إلى الحدود الباكستانية. حرب الحبشة وإرتيريا، لا يُعرف عدد ضحاياها من اللاجئين، وإن كان عددهم لا يقل عن نصف مليون آخرين. الصدام المسلح بين الحبشة والصومال يدفع إلى العراء كل مرة بألوف اللاجئين. مقاومة المسلمين فى جنوب الفلبين تدفع إلى حدود ماليزيا وأندونيسيا بألوف أخرى فى كل موجة.

* **بالنسبة للمجاعات**، مسرحها الممتد بين غرب إفريقيا وشرقها حافلٌ منذ أكثر من سبع سنوات بصورة رهيبة، يُظَلِّلُ فيها شبح الموت ملايين المسلمين من موريتانيا ومالى، إلى الصومال وأوغندا، فضلاً عن مناطق المجاعات الدائمة مثل بنجلاديش، وبعض ولايات الهند ومناطق باكستان.

هذه الملايين الجائعة والمشرَّدة، هى المسرح الذى تستهدفه وتنشط عليه جمعيات التبشير، وهم يقولون ذلك علنًا وبمنتهى الوضوح والصراحة. وقد تلقيت كتيبًا بهذا المعنى طُبع فى كاليفورنيا، فى أغسطس ١٩٨١م، والعنوان المكتوب على غلافه هو: «الفرصة العظمى للمسيحية».

تحت العنوان خريطةٌ للعالم الإسلامى، كُتب تحتها اسمُ الجمعية

التى اصدرته وهى: «أخوة الإيمان من أجل المسلمين»، وعلى الغلاف الخلفى إشارة إلى أن لها فروعًا فى كندا، وأستراليا ونيوزيلندا.

وفى نشرة تصدرها جمعية باسم «محبة العالم» تصدر فى (سياتل) بالولايات المتحدة الامريكية عثرتُ على خريطة مفصَّلة بمختلف أنواع الخدمات التى تقدمها الجمعية للمناطق الإسلامية الفقيرة، وهى لم تترك منطقة إلا ولها فيها موطىء قدم.

وهذه ليست إلا أمثلة لسيل الدعوات التى تتبناها جمعيات التبشير، لتدعم إمكانيات عملها وسط فقراء المسلمين وتعسائهم، مستثمرين «الفرصة العظمى».

وفى عدد من مجلة «نداء الكنيسة» (تشرش هيرالد CHURCH HERALD)، الصادر فى ٢١ سبتمبر عام ١٩٧٩م، مقال بعنوان «أخبار طيبة من الشرق الأوسط» كتبه جون بوتين سكرتير التجمع العالمى للمبشرين فى نيويورك، استهله بقوله: «فى هذا العام ١٩٧٩م، تمر ٩٠ سنة على نشاط البعثات التبشيرية الكاثوليكية فى الشرق الأوسط، وهذه مناسبة لاستعراض ما أنجزته تلك البعثات خلال هذه الفترة.

عن سلطنة عمان يقول كاتب المقال ما نصه: «لقد استطاع الجهد التبشيرى أن يخترق الواقع الثقافى بأكثر مما كان متاحًا له فى أى وقت مضى.

فالمبشِّرون مدُّوا خدماتهم من العاصمة مسقط إلى امتداداتها

وضواحيها حتى وصلوا إلى منطقتى «مطروح وروى». وهناك مبشرون آخرون يعملون فى بلدتى «صور» و«تنام» ويقومون بزيارات منتظمة إلى «صلالة»، وبالرغم من أن أعداد المبشرين ليست كبيرة، إلا أنهم استطاعوا أن يشكِّلوا خلايا للمسيحيين فى تلك المناطق. وهناك اجتماعات منظمة لهذه الخلايا فى المناطق الداخلية للسلطنة.

ويضيف كاتب المقال: «أنه تمت الموافقة على تقديم قطعة أرض هدية له فى صلالة، من أجل أن يقام عليها «المركز المسيحى للعبادة» وأن الكنيستين الكاثوليكية والبروتستانتية ستتعاونان فى إقامة مقر متواضع على هذه الأرض»، وفى ختام التقرير يقول الكاتب لقرَّائه: «تذكَّروا أن ذلك يحدث فى بعثة لم يكن مسموحًا فيها لأى من الغرباء بالدخول حتى ١٩٧٠م، باستثناء زيارات موسمية كانت تقوم بها البعثات الطبية لجمعيات التبشير».

* * *

لا مجال للتعقيب على هذا القدر من المعلومات، التى تنطق بالكثير مما يُدمى القلبَ ويجرح كرامة المسلم. لكن أود أن أنبه إلى مجموعة من النقاط:

أ ـ أن المعلومات عمّا يجرى داخل العالم العربى وفيرة ومثيرة، وقد أوجزت فى عرضها لأسباب لا تخفَى على اللبيب.

ب ـ أن تلك الأنشطة التى تمارسها الجمعيات التبشيرية، لا

علاقة لها مباشرةً بنشاطات غير المسلمين الذى يعيشون كمواطنين داخل مجتماعتنا الإسلامية.

جـ ـ أن اللاجئين وفقراء المسلمين ليسوا مطالَبين بالامتناع عن التداوى أو الاكتساء أو الاحتماء بالخيام التى تُقَدِّمها إليهم تلك الجمعيات التبشيرية، ويُعذَرون إذا قبلوا منهم كل شىء. ولكن المطالَب حقًا بالتحرك هو الحكومات العربية والإسلامية.

د ـ أن التحرك المطلوب ليس مجرد إيقاف نشاطات تلك الجمعيات، ولكنه ينبغى أن يتمثل ـ أولاً ـ فى المسارعة إلى تقديم الخدمة البديلة إلى أولئك اللاجئين حتى تلبى الحدَّ الأدنَى من احتياجاتهم. وإذا تحركت المشاعر الإنسانية النبيلة لدى أى طرف من أى مكان فى العالم، ورغبت هيئة أو جمعية فى تقديم مساعداتها العينية أو النقدية، ينبغى أن تُسلَّم تلك المساعدات إلى مؤسسات محلية خاضعة للإشراف الوطنى؛ لتتولى توجيه المساعدات فى مسارها الطبيعى، بحيث نضمن ألاَّ تتعرض تلك المساعدات للتبديد والنهب من قِبل بعض أدوات البيروقراطية المحلية غائبة الضمير؟

إن العشرين مليون دولار التى يدفعها برنامج الخليج العربى سنويًا إلى منظمات الأمم المتحدة الإنمائية، ينبغى أن توجَّه على الفور إلى اللاجئين المسلمين، وليكن إنفاقها تحت إشراف الأمم المتحدة[1].

---

(١) المصدر السابق.

إن التقاعس العربى لم يعد يهدد دنيانا فقط، وإنما بات يهدد ديننا أيضًا. !

ويا ويل المسلمين من أنفسهم إن لم يفيقوا قبل وقوع الكارثة. . . وقبل أن يحيط بهم الخطر من كل ناحية.

فى عام ١٩٣١م نشرت جريدة البلاغ المصرية مقالاً لأستاذ مسيحى مصرى[١]: موجهًا كلامه إلى «المبشرين»: «عجيب أمر هؤلاء المبشرين؛ إنهم قوم لا دين لهم ويرتكبون أكبر الجرائم والمنكرات التى نهاهم عنها الدين، أنتم أيها «المبشرون» جواسيس وخونة، وقد جئتم إلى بلادنا لا لنشر الدين بل لإثارة الفتن والقلاقل فى أى بلد تذهبون إليه. ولو كان المسيح بيننا لصلبكم وتبرأ منكم. إنكم مجرمون حقًا، ولو كنتم شرفاء كما تزعمون، أو تنشرون الفضائل كما تقولون؛ لنشرتم ذلك فى بلادكم التى لم تَعُد تُؤمن بأى دين»!!!

إن الذى يحدث فى «جنوب السودان» أكبر شاهد على هذه الكلمة التى كتبها الأستاذ «كليم أبو سيف»، والذى حدث فى (تيمور الشرقية) شاهدٌ حىٌ على هذه الجرائم . وتوقعوا قريبًا تكرار هذه «الجرائم» فى آسيا وفى أفريقيا . .!!!

«ومن عيوبنا أننا نستريح إلى توسُّد ذراعنا[٢] والاستسلام

---

(١) الأستاذ كليم أبو سيف.

(٢) نقلاً عن مقال للأستاذ الدكتور حسين مؤنس نشر فى مجلة الهلال المصرية فى الفترة التى تولى فيها رئاسة تحرير هذه المجلة، وكان عنوان هذا المقال «الإسلام فى خطر»، وقد اقتبسنا منه جزءًا كبيرًا فى هذا البحث.

للنوم، حاسبين أن المقادير تتولى أمورنا وتحل مشاكلنا، حاسبين أن المشاكل لا بد أن تَحلٍّ نفسَها مع الزمن.

وهذا العيب يتجلى بصورة أوضح فيما يتعلَّق بالإسلام ومصيره.. فنحن نؤكد لأنفسنا ليل نهار أن عالم الإسلام فى زيادة مستمرة، وأن أعداد المسلمين فى صعود مضطرد؛ لأن الإسلام كما تعودًنا ينشر نفسَه بنفسه، فهو دين سمح يفتح الله له قلوب الناس، وله ـ كما يقول المستشرق «جان سوفاجيه» ـ قوة انفجارية هائلة.

وفى أكثر من كتاب من كتب المهتمين بوسائل الأديان يوصف الإسلام بأنه دين مناضل..

وهذا كله حق..

ولكن الذى ليس بحق بحال من الأحوال، هو أننا نكتفى بترديد ذلك والاكتفاء به..

وإلى الأمس القريب كان الإسلام يشق طريقه فى قوة وعزم معتمداً على فضائله التى أودَعها الله فيه، وقدرته على فتح مغاليق القلوب..

وكانت هذه القوة الدافعة تثير الرعب فى نفوس أعداء الإسلام؛ فعندما أنهت أوروبا سيطرتها على إفريقيا خلال النصف الثانى من القرن التاسع عشر، وتدفقت جماعات المبشرين على القارة الإفريقية، كانوا يحسَبون أن أمر الإسلام قد انتهى فى إفريقيا؛ لأنهم سيعرفون كيف يمحونه من مستعمراتهم محواً كما ظنوا.

ووضعت دولُ الاستعمار إمكاناتها فى حرب الإسلام، وانهالت الأموال على هيئات التبشير، واشتدت الحرب على الإسلام فى إفريقيا.. وفى أواخر القرن الماضى، تكشفت الأمور عن حقيقة أذهلت أهل الغرب كله .. برغم كل هذه الجهود انتشر الإسلام أكثر فأكثر .. ففى أفريقيا المدارية والاستوائية تضاعفت أعداد المسلمين بين ١٨٤٠م، ١٩٠٠م. كانوا يقولون فى إحصائياتهم إن المسلمين فى غرب أفريقيا السوداء يصل عددهم إلى ٢٠ مليونًا، وكان هذا تدليسًا منهم؛ فإن العدد الحقيقى كان قريبًا من ضعف ذلك العدد.

ولكن الأمر الذى روّعهم أنهم اكتشفوا فى إحصاء عملوه سنة ١٩١٢م أن أعداد المسلمين فى الغرب الإفريقى جنوب الصحراء وصل إلى ٦٠ مليونًا منهم ٢٥ مليونًا فى نيجيريا وحدها[١].

وقرب نهاية عصر الاستعمار كان هناك تسليم بأن الإسلام فى أفريقيا لا يُقهر .. وبدلاً من أن تتجه جهود المبشرين إلى تنصير المسلمين اتجه الاهتمام إلى ترك الإسلام يسير فى طريقه وتوجيه الجهد نحو نشر المسيحية بين الإفريقيين.

ولكنهم حرصوا فى نفس الوقت على وقف كل عمل من شأنه المعاونة على انتشار الإسلام، ومن هنا فقد وضعوا قيودًا على تشييد المساجد[٢]، وأوقفوا تعليم اللغة العربية (حتى فى تونس

---

(١) عدد المسلمين فى نيجيريا تجاوز السبعين مليونًا.

(٢) فى زياراتى إلى أفريقيا كنت أكتشف دائمًا وجود كنائس لا حاجة إليها فى مدن ليس فيها مسيحى واحد، بينما لا يوجد مسجد واحد فى مدينة معظم سكانها مسلمون!!!

والجزائر)، ورفضوا الموافقة على إنشاء الجمعيات الإسلامية، وأقفلوا أبواب مستعمراتهم فى وجوه المسلمين دُعاةً كانوا أم غير دعاة، ثم إنهم وضعوا قيوداً على حركة التجارة بواسطة القوافل[1]؛ لأن قوافل التجارة لها أكبر الفضل فى انتشار الإسلام فى القارة الإفريقية عامةً وفى إفريقية المدارية والاستوائية خاصةً، ثم جنوب خط الاستواء.

أما الإسلام فى شرق إفريقيا جنوب السودان النيلى فقد وصل عن طريق السارون إلى البحر الأحمر وقرن الصومال.

ومن هنا وصل الإسلام إلى مجموعات القبائل الكبرى فى شرق أفريقية: الشلوك، والدنكا، واللو، واللانجو «فى جنوب السودان»، وفى منطقة البحيرات وجنوبها «قبائل الماسى، والفاندى، والصومالى، والجالا، والدوندى الفياتزا والكيكويو، والتشاجا، والحدسا وما إليها»..

وهذه كلها ليست قبائل، وإنما مجموعات قَبلية، وكان الإسلام قبل عصر الاستعمار وبعده ينتشر فيها انتشاراً سريعاً بفضل قوافل التجارة فى الغرب والوسط، ثم بفضل الهجرات العربية (وفى شرق إفريقية).

وفى نهاية عصر الاستعمار (خلال الستينيات) كان سكان إفريقيا فى مجموعهم يُقَدَّرون بحوالى ٣٠٠ مليون نسمة، وعددهم فى أوائل السبعينيات ٣٣٥ مليون نسمة مقسمين كما يلى:

---

(١) وهذا هو السبب الأول فى مشكلة جنوب السودان.

شمال إفريقية	٦٥ ٠٠٠ ٠٠٠ نسمة
إفريقية الوسطى	١٠٧ ٠٠٠ ٠٠٠ نسمة
شرق إفريقية	٧٢ ٠٠٠ ٠٠٠ نسمة
وسط إفريقية الغربى	٣٥ ٨٠٠ ٠٠٠ نسمة
جنوب ووسط إفريقية	٤٧ ٧٠٠ ٠٠٠ نسمة
مدغشقر	٦ ٥٠٠ ٠٠٠ نسمة
المجموع	٣٣٤ ٠٠٠ ٠٠٠ نسمة

ومن مجموع سكان افريقيا كان عدد المسلمين يقارب النصف؛ أى حوالى ١٦٠ مليون مسلم «بما فى ذلك مصر والسودان والمغرب وموريتانيا ومالى والصومالات وأرتيريا وهى بلاد إسلامية عربية».

وكانت المؤشرات تدل على أن الإسلام فى تقدم مستمر فى المناطق التى ذكرناها، وأنه فى نهاية القرن سيكون ثلثا سكان القارة مسلمين، وبهذا تنحسم معركة الصراع الدينى والفكرى الخطيرة فى إفريقية لصالح الإسلام والعروبة[1] بالتالى ..

ولكن ماذا حدث؟

لقد نشرت صحيفة هيرالد تريبون الأمريكية -HERALD TRI BUN فى اليوم الثامن من أغسطس سنة ١٩٨٥م تقريراً عن رحلة البابا إلى إفريقيا، وعن الأهداف الخفية فى هذه الرحلة.

---

(١) دكتور. حسين مؤنس: «الإسلام فى خطر».

ويقول هذا التقرير الذى كتبه لورين جينكز LOREN JINKS «يقوم البابا بولس الثانى بثالث رحلة له لأفريقيا فى غضون خمسة أعوام؛ بأمل أن يُرسى قواعد الكنيسة الكاثوليكية الرومانية ضد النهضة الإسلامية المتزايدة فى القارة، الأمرُ الذى يَعُدُّه الفاتيكان أمرًا هامًا من أمور هذا القرن...» ؟!

ومن المتوقع أن يقوم البابا خلال رحلته التى ستستغرق ١٢ يومًا بحثُ رجال الدين المسيحى بأفريقيا وأتباعهم على زيادة نشاطهم الكهنوتى فى القارة لمقاومة المد الإسلامى الجديد جنوبًا..!

ووجود الإسلام الجديد أمر يشعر به الإنسان فى منطقة وسط أفريقيا من سيراليون على المحيط الأطلسى إلى السودان على البحر الأحمر.

وفى حين تَحُول الدبلوماسية والواجبات الرسمية دون السماح للبابا بأن يتحدث علنًا عن موضوع النهضة الإسلامية بأفريقيا، أفصح كبار المسئولين بالفاتيكان بصورة هادئة أن مسألة اعتناق الكاثوليكية واعتناق الإسلام هى واحدة من أهم المسائل التى تهتم بها الكنيسة..!!!

وحسَب ما تقوله مصادر الفاتيكان فإن واحدًا من الأمور التى سيُقْدِم عليها البابا البدء «بالمرحلة الثانية» لجعل إفريقيا قارة مسيحية، وسيفتتح البابا كاتدرائية جديدة فى ساحل العاج[1]

---

(١) هذه الكاتدرائية تكلفت عشرات الملايين من الدولارات، والشىء الذى لا يعرفه القراء أن عدد المسلمين فى ساحل العاج فوق الستين فى المائة، وأن عدد المسيحين حوالى ١٥ فى المائة!!!

ويعيِّن قسيسين فى توجو، ويبارك اجتماعًا للراهبات فى زائير، كما سيقوم بزيارة حديقة الحيوان بكينيا، ثم يُنهِى جولته فى المغرب».

ويهتَمُّ البابا اهتمامًا بالغًا بإفريقيا؛ لأن الكاثوليكية تنمو هناك أكثر من أى قارة أخرى فى العالم.

ويقول «جوسكين نفارو والز»، أحد المتحدثين باسم الفاتيكان: «إن إفريقيا ـ شأنها شأن أمريكا اللاتينية ـ هى (خزان) للكاثوليكية فى المستقبل» . . ويضيف المتحدث إلى ذلك قوله: «إن كل ما تستطيع أن تفعله أن تنظر إلى الأرقام؛ ففى عام ١٩٠١م ـ فى بداية هذا القرن ـ كان فى كل أفريقيا ١,١ مليون كاثوليكى فقط، أى بمعدل ١٪ من سكان القارة، أما اليوم فإننا نزيد عدد الكاثوليك فى كل سنة مليونى نسمة، وهناك ٦٥ مليون كاثوليكى فى القارة، أو ١٦٪ من مجموع عدد سكانها، ونحن نتوقع أن يزيد عددهم قبل نهاية هذا القرن إلى ١٠٠ مليون . . .؟!

ومع أن منافسة الإسلام أمرٌ لا يمكن التحدث عنه علنًا فإن البابا ـ كما يقول أحد مصادر الفاتيكان الكبيرة ـ سيعالج هذه المشكلة فى بلد مثل توجو[1] حيث يغلب المسلمون فى الجزء الشمالى من البلاد، فى حين يغلب العنصر المسيحى فى الجزء الجنوبى منها، بأن يطلب من رجال الكهنوت أن يتحركوا صوب الشمال ليبشروا بدينهم بين المسلمين . .؟!!

---

(١) المسلمون «أغلبية» فى شمال وجنوب توجو..

إن الظاهرة الخطيرة والجديدة فى مجال الحركة التنصيرية هى الاعتماد على «الإعلام»، وبخاصة بين القبائل التى لا تستقر غالبًا فى مكان خاص، وقد أعلن المنصِّرون: أن هذه الطريقة نجحت مع قبائل «الفولانى» المسلمة القوية فى غرب إفريقيا، هذه القبائل التى ينتسب إليها الإمام المجاهد المجدد «عثمان بن فودى»، المشهور فى إفريقيا وبطل أبطال الإسلام فى نيجيريا ..

وقد انتشرت الإذاعات التنصيرية بعد نجاح تجربة تنصير الفولانى، وأهم هذه الإذاعات «الإذاعة الدولية» ومقرُّها (سوازيلاند). ورابطة إذاعات الشرق الأقصى «فيبا» ومقرُّها جزيرة سيشل، وراديو الفاتيكان ويركِّز على تعليم الإنجيل والموضوعات الروحية، وتُبث بالإنجليزية والفرنسية والبرتغالية وباللغات الملجاشية، والسواحلية، والايوندية، والكنفية، واللميذ، والأثيوبية، والأمهرية، والثقرية، والعربية.

وإذاعة «الحب الأبدى» تُبَثُّ من منروفيا فى ليبيريا، وتُرسِل برامجها بـ ١٥ لغة، ولها استوديوهات فى لاجوس وأبيدجان وأديس أبابا وبيروت، وإذاعة «صوت البشارة» ولها ١٢ استديو أيضًا فى مختلف الأقطار العربية.

وفى الوقت الذى اجتمع فيه وزراء الإعلام للدول الإسلامية فى (جدة) بالمملكة العربية السعودية، نشرت مجلة المجتمع الكويتية فى عددها الصادر فى ١٨ أكتوبر ١٩٨٨م، وتحت عنوان ضخم فى الافتتاحية (الأقمار الصناعية فى خدمة التنصير)،

وأكدت أن الأنباء المفجعة تواترت أخيراً عن موافقة (الفاتيكان) على مشروع ضخم، تقدم به الأبُ الكاثوليكى (جوسانى)، يتمثل فى بناء محطة تليفزيونية كبيرة للبَثُّ منها، وفى جميع أنحاء العالم (للتبشير بتعاليم الإنجيل)، بواسطة ثلاثة أقمار صناعية، حيث سُمِّى بمشروع (لومين ٢٠٠٠)، والذى يُعتبر الأول من نوعه، من حيث الحجم واتساع مساحة البث، وإمكان السيطرة إعلاميًا على جميع قارات العالم، وبالخصوص قارتىّ إفريقيا وآسيا، اللتين يوجد المسلمون فيهما بشكل مكثف.

هذا المشروع التنصيرى الخطير، الذى يموّله مليونير هولندى، كان ضابطًا سابقًا فى الجيش، يهدف - بالدرجة الأولى - إلى تحقيق أهداف مجلس الكنائس العالمى[1]، فى تنصير المسلمين، أو على الأقل فى زعزعة عقائدهم عن طريق البث الثقافى التليفزيونى اليومى المستمر، بلغات متعددة (للتبشير بتعاليم الإنجيل) تحت اسم (التنوير) و(التعاون) و(محاربة الجهل)، وكلها مسمّيات للتمويه على القيادات السياسية، والحكّام المسلمين.

فى بداية عام ١٩٨٥م نشرت وكالة «فيدس» التابعة للفاتيكان تقريراً عن الحركة التنصيرية فى الخليج.

وأشار التقرير إلى أنه لا يصرَّح لرجال الدين المسيحى بالدخول إلى تلك المنطقة بما فى ذلك القاصد الرسولى بأبى ظبى بصفتهم

---

(١) مجلس الكنائس العالمى. أنشأته أجهزة المخابرات الغربية لاستعماله كرأس حربة لإثارة القلاقل والفتن فى العالم الإسلامى.

رجال دين، بل عليهم أن يبرزوا وجودهم بصفتهم فنيين لديهم عقود مع الشركات النفطية التى تعمل بوجه تنصيرى.

واضاف التقرير أن هناك مؤسسات مسيحية فى منطقة الخليج تمارس أعمال التنصير من خلال عمالها الآسيويين المسيحيين، والذين يصل عددهم فى البحرين وقطر وأبى ظبى إلى ألف عالم منصِّر..!

والشىء الغريب كما يقول التقرير: «أن أبواب المنطقة العربية أصبحت مفتوحة على مصراعيها للمنصِّرين» كما جاء فى قول «واين شاهباز» فى المؤتمر السنوى السادس للجنة.

«اتحاد الكنائس للتبشير» والذى عُقد فى كاليفورنيا بالولايات المتحدة سنة ١٩٨٠م حيث قال: إن الباب أصبح مفتوحًا على مصراعيه للمبشرين النصارى فى العالم الإسلامى؛ فهناك ٥٠ ألف أمريكى يعملون فى السعودية - البلد الذى يعتبر مغلقًا أمام المبشرين (المنصِّرين) - منهم كثيرون يعملون فى ميدان التنصير فى الخفاء!!!

كما ذكر الكتاب الخاص بنصارى بريطانيا أن هناك ثلاث منظمات تعمل فى منطقة الخليج هى:

«جمعية مبشرى الكنيسة»، و«الاتحاد العالمى للكنائس»، و«الإنجيل والزمالة الطبية للمبشرين».

أما عدد بعثات المنظمات التبشيرية البروتستانتية الأمريكية التى

تعمل فى منطقة الخليج كما ذكرتها مجلة العالم التى تصدر باللغة العربية فى لندن، فيبلغ ٦ جمعيات مسجلة، هى:

A.M. العالمية، وكنيسة الإصلاح فى أمريكا، وكنيسة مشايخ الإنجيل، وكنيسة المشايخ فى أمريكا، وبعثة التحالف الإنجيلى، والحملة الصليبية الإنجيلية عبر العالم.

وأضافت المجلة أن هناك أيضًا منظمات نصرانية تعمل فى المنطقة العربية مسجَّلة منها: منظمة عملية التعبئة، وزمالة الإيمان من أجل المسلمين، إذاعة عبر العالم، واتحاد إذاعات الشرق الأدنى، ولِجان لوزان للتنصير العالمى، ومركز الشباب اليافعين.

كما أن هناك حوالى ١٣٠٠ مبشر متفرغ بالشرق الأوسط ومعظمهم يديرون مراكز طبية.

وفى ظل هذه الظروف وَجدَ دعاةُ الغزو التنصيرى الفرصةَ سانحةً لجعل هذه المنطقة ميدانًا لنشاطهم التنصيرى، ساعدهم على ذلك وجود القوات الاستعمارية، وتشجيعها ومساندتها لهم فى الماضى، حيث كانت توفِّر لهم الدعم المعنوى بتربية أبناء المنطقة والأهداف الاستعمارية.

* * *

١٣

رسالة من نيويورك

اسمى أحمد عبد الله ... سابقًا رالف دينيس Ralph Denies أسلمت حيث كان يجب أن أكون من الد أعداء الإسلام ..!

فقد تعرفت على الإسلام فى جامعة من أخطر الجامعات التى تخصصت فى محاربته .. إنها جامعة «برنستون Princeton» المعروفة فى الولايات المتحدة.

كنت مغرمًا بدراسة الأديان، ومن خلال مناقشاتى مع الأساتذة فى هذه الجامعة عرفتُ لماذا يحاربون الإسلام ويخططون لتدميره! لم يكن لهذه الحرب دافعٌ سوى الكراهية والحقد، ولم أر فيما سمعتُ ورأيتُ سببًا واحدًا معقولاً لهذه العداوة وهذه الحرب[1].

ويومًا بعد يوم تكشَّفَتْ أمامى كل الحقائق .. فلم تكن الدراسات التى يقوم بها أساتذةُ ورجالُ اللاهوت تعتمد على دليل واحد مؤكَّد، كانت المهمة الأولى للدارسين فى هذ الجامعة هى التشويه الكاذب .. والتشكيك فى كل ما هو جميل وصادق.. وتلطيخ وجه الإسلام الناصع بالأكاذيب والافتراءات التى ينخدع بها الجهلاء والسذج.. لم تكن «الحقيقة» هى الهدف.. كان وراء هذا كله تخطيط وتآمر لغايات دنيوية «بحته»، ولإحكام قبضة الغرب وسيطرته على ثروات آسيا وأفريقيا.

---

(١) انظر فى هذا أيضًا: كتاب «حوار صريح» للمؤلف.

ولما كان الإسلام يمثل فى هذه الأقطار القلعة المنيعة الوحيدة الباقية، فقد كان من الضرورى أولاً: اقتحام هذه القلعة .. وتدمير حصونها وأسوارها خطوةً بعد خطوة ..! لهذا أسلمت. وتعلّمتُ اللغةَ العربية حباً فى هذا الإسلام. وسافرتُ من أجل ذلك إلى أقطار عربية وإسلامية. واتصلت بالجامعات ومراكز البحوث المتخصصة، فهالنى هذا التواكل فى مواجهة هذا الخطر، والسلبية فى صد هذا العدوان المتربص بكل مسلمة ومسلم.

لم أجد إلا قلوبًا جرداء مُقْفِرة، وعقولاً خُلْوَة من أية معرفة حقيقية بأهداف هذه المؤامرة، باستثناء أفراد قليلين معزولين عن مواقع التأثير فى الحياة العامة.

فكيف بالله يدافع هؤلاء عن الإسلام بقلوب ماتت من شدة الشراهة والطمع؟.. وكيف يُبطلون باطلاً قبل أن يعرفوا حقيقة هذا الباطل وما فى ترسانة أسلحته من الأباطيل والشراك والخدع..؟! ترى هل يسمعنى إخوتى من المسلمين والعرب؟ وهل تُصادف هذه الصيحة قلوبًا يؤرّقها الشوقُ واللوعة إلى التصدّى لهذا العدوان قبل أن يقع.

أحمد عبد الله

New York city U.S.A.

* * *

هذا هو ما قاله وكتبه الأخ أحمد عبد الله فى رسالته إلىَّ قبل خمسة عشر عامًا.

إنها رسالة تنبض بالحب والخوف معًا .. الحب للإسلام والخوف عليه!

الخوف عليه من المسلمين، الذين أقعدهم التواكل عن العمل..! وأقعدهم التواكل عن اتخاذ أية احتياطات لمواجهة هذه الغارة وهذا الخطر..!

إن الخطة التى اعتمدها مؤتمر «كلورادو» بأمريكا تجىء فى مرحلة من أخطر المراحل التى مر بها المسلمون والعرب. من حيث التمزق والتفرق، ومن حيث الجهل والتأخر، حتى أنك لا تجد دولتين مسلمتين متفقتين على هدف واحد محدد. وإذا كان «التنصير» لم يحقق أهدافه فيما سبق لاعتبارات خاصة بصعوبة الاتصال فيما مضى، فإن الأمر يختلف تمامًا فى هذا العصر. حيث اقتحم التنصير آفاقًا جديدة، واستعمل وسائل تكنولوجية متطورة، كالأقمار الصناعية والتليفزيون. بالإضافة إلى الإذاعات المختلفة التى تغطى أو تملأ فضاء العالم وتذيع بكل اللغات وكل اللهجات، ويكفى أن نعلم أن فى المنطقة العربية والإفريقية أكثر من عشرة إذاعات متخصصة فى بث المواد التنصيرية، إحداها ملاصقة تمامًا لإذاعة القرآن الكريم التى تبث إرسالها من القاهرة..!

إن الاعتمادات المالية الكبرى لحركات التنصير تفوق فى

ميزانيتها ميزانيات دول كثيرة فى أفريقيا وفى آسيا!! وهذه الميزانية تقدمً فى صورة خدمات تعليمية وصحية، وثقافية ورياضية تحتاجها هذه الشعوب الفقيرة التى لا يتوفر لأبنائها مثل هذه الخدمات الضرورية المُلِحَّة .. (يجمع سنويًا حوالى عشرة مليارات من الدولارات لتنفيذ هذه المؤامرة) ..!!!

لقد بدأ استخدامُ الكتاب والصحيفة والمجلة فى الأعمال التنصيرية، ويكفى أن نعلم أن أكبر مؤسسة تنصيرية فى مصر تقع خلف مبنى وزارة شئون الأزهر فى جاردن سيتى!!! وأن أكبر مكتبة تنصيرية تقع على بعد أمتار قليلة من المبنى نفسه واسمها «مكتبة الثقافة» ولها فروع فى أسيوط والمنيا وغيرها من مدن الصعيد والدلتا[1].

ومما يساعد على نجاح هذه الخطة، تقصير مؤسسات الخدمات الصحية والتعليمية فى الدول النامية، فتقوم هذه المؤسسات التنصيرية بسد الفراغ فى مجال الخدمات الحيوية، وكشاهد على هذا وكمثَل واحد من (مصر) ففى منطقة «الدويقة» بالقرب من الأزهر، وفى حى «الزبّالين» بمصر القديمة، وفى مؤسسة «الجذام» بالخانكة تعمل هذه المؤسسات على مرأى ومسمع من الأجهزة التنفيذية والشعبية فى تنصير المسلمين جهاراً وعلنا ..

---

(١) افتُتحت فروع لهذه المكتبة أخيراً فى الأماكن الآتية: شارع الجمهورية، الترعة البولاقية، الجيزة، الإسكندرية، شارع كليوباترا بمصر الجديدة.

ومن أخطر ما جاء فى هذه الخطة التنصيرية: تحريضُ الكنائس المحلية على النزول إلى الساحة، والدخول فى معركة مع الإسلام والمسلمين فى كل دولة، مما يؤدى إلى قلاقل وفتن تهدد أمن الوطن وسلامته، وتقضى على الاستقرار والأمن فى كل دولة وتنشر الكراهية والبغضاء فى كل مدينة أو قرية[1].

إن الحركات «التنصيرية» لا دين لها؛ إنها عصابات تعمل على نشر الإباحية وإشاعة الانحلال بين ضحاياها أياً كان دينهم أو عقيدتهم. وبخاصة إلى الفئة المسلمة. !حتى فى الجامعات الوطنية .. يعمل الأساتذة غير المسلمين على اختلاق الفرص لإقامة حفلات. أو القيام برحلات تشرب فيها الخمر، وتدور فيها حلقات الرقص والطبل والزمر ..؟!

وقد حدثنى صديق أعتز بأمانته وصدقه: إن الأساتذة غير المسلمين فى إحدى جامعات الخليج دَعَوْا إلى رحلة مشتركة بين البنين والبنات، وكان من بين المشتركين فى هذه الرحلة أبناء وبنات أحد الحكام!!!

لقد كانت الخمر هى «الماء» بين أيدى الطالبات والطلبة، وحين عادوا من الرحلة ضلوا الطريق إلى قصور آبائهم ـ الذين أوكلوا أمور أبنائهم وبناتهم إلى هؤلاء المجرمين من الأساتذة ..!!!

فى يناير ١٩٨٩م وجَّه البابا «جون بول الثانى» رسالة إلى العالم يدعو فيها إلى السلام واحترام حقوق الأقليات.

---

(١) انظر كتابنا: «رسالة إلى البابا» و«الفاتيكان ذو الألف وجه» ـ الناشر: دار المختار الإسلامى ـ القاهرة.

لقد طالب البابا فى هذه الرسالة بما يأتى:

(أ) حق هذه الأقليات فى الوجود.

(ب) حق هذه الأقليات فى الحفاظ على هويتها وثقافتها.

(ج) حق هذه الأقليات فى الحرية بمختلف أنواعها.

ونحن مع البابا فى كل ما دعا إليه بدون تردد أو تحفُّظ، غير أنى أوجه إليه سؤالاً إذا اتسع صدره لهذا السؤال المؤدب:

اى أقليات تطالب بحقوقها؟.. أهى الأقليات المسيحية؟

أم الأقليات الإسلامية؟ أم الأقليات من أى دين ومن أية ملة؟

إننى اكتب ما اكتب فى الوقت الذى يتعرض فيه المسلمون - أقليةً وأكثريةً - لمذابح فى آسيا، وفى افريقيا، وفى أوروبا، وفى كل بلد فيه للفاتيكان ومؤسساته سلطة عليا..

لم نسمع لك صوتًا أيها البابا فيما يحدث، ولم يصدر فيه عن الفاتيكان رأىٌ تجاه المذابح الوحشية التى يقوم بها المسيحيون الصرب..

عندما تحللت يوغوسلافيا إلى دويلات سارع الفاتيكان بالاعتراف بسلوفينيا وكرواتيا؛ لأنهم - أى الناس - فى هاتين الجمهوريتين كاثوليك، ولكن الناس فى البوسنة و«كوسوفا» مسلمون وهؤلاء وثنيون وكفار فى نظركم جميعًا.. وبما أنهم كفار ووثنيون: فالقتل والذبح وهتك العرض من الأمور المطلوبة والمقررة فى تاريخكم سلفًا..!

لقد أقمتَ الدنيا ولم تقعدها من أجل رجل من أرباب السوابق انضم إلى الجيش الجمهورى فى شمال إيرلندا، فلما قُبض عليه وحوكم.. انفجر الفاتيكان ثورةً وغضبًا، وحاول المستحيل مع «مارجريت تاتشر» للإفراج عنه فوراً.

ورسالة الرحمة التى بشَّر بها المسيح وئِدت واندثرت ولم يعد لها فى الفاتيكان نصير أو صديق، أو كما يقول «غريغوار حداد» مطران بيروت: «إن تعاليم المسيح ضاعت بسبب سوء استغلال الكنيسة لهذه التعاليم والمبادىء.. ولأن الكنيسة احتكرت المسيح كما تحتكر أية شركة تجارية صنفًا من الأصناف، وأصبح المسيح بسبب ذلك أسير الكنائس ورهينة فى يديها، لا يوصَل إليه إلا بواسطتها. وبما إن الكنائس أصبحت مرفوضة فقد أصبح المسيح مرفوضًا أيضًا». وقال المطران حداد أيضًا:

«إن النظام الكنَسى ذاته إذا كان يَحُول دون وصول المسيح إلى الأمة كلها فعلى هذا النظام أن يَزُول، وعلى الكنيسة أن تموت، وينبغى أن ترفَع يدها عن المسيح!».

أو كما يقول إخوان القديس «بيوس»: «اللهم ارزقُنا بابا مثل بيوس العاشر لأن يوحنا بولس الثانى بَدَّلَ دينك كما لم يبدِّله من قبل أى بابا..» !!

لقد وصف أحد المفكرين الفرنسيين المسيحية المعاصرة بالدين المشاغب!.

وحين سُئِل عن السر الذى يكمن وراء تعريفه المسيحية بهذا الوصف قال:

لقد علَّمونا قبل ذلك أن المسيح تركَ ما لقيصر لقيصر، ولم يتدخل فى شئون السياسة والحكم .. غير أن الكنيسة اليوم تنازع القياصرة فى كل شىء .. وتتاجر بالسلاح إذا كان السلاح هو الحل .. وتركتْ رسالة «الخلاص» و«الفداء» للذين يدفعون الثمن، حتى لو أدَّى ذلك إلى القتل!!.

وأصبحت السياسة هى اللعبة المفضلة عند رجال الدين الذى يستغلون مكانتهم فى الوصول إلى الحكم».

* * *

١٤

محاضرة الأمير تشارلز

لقد كان الأمير (تشارلز) «ولى عهد بريطانيا» شجاعًا وأمينًا عندما وقف يقول فى محاضرته الشهيرة بجامعة أوكسفورد عن الإسلام والغرب:

قال:

«هناك سوء فهم شديد بين العالمين الإسلامى والغربى، هذا الواقع يدركه كل إنسان هنا فى بريطانيا.

وإنه من الغريب أن يستمر سوء الفهم حتى يومنا هذا، بالرغم من أن المسلمين والمسيحيين واليهود أصحاب كتاب سماوى وديانة سماوية، وأننا جميعا نشترك فى قيم واحدة، منها احترام المعرفة والعمل والرحمة والوفاء والبر بالوالدين.

لقد وقفت مبهورًا أمام كلمة ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ...﴾[1] لأن مجتمعنا فى أشد الحاجة إلى هذا الوفاء والبر..

إن مناهج التعليم في بلادنا تمجِّد أبطال الحروب الصليبية؛ بينما كانت هذه الحروب تمثِّل عند المسلمين أقصى درجات التوحش والهمجية..

إننا ننظر إلى الإسلام من خلال بعض الفتن والأحداث التى

---

(١) يقصد بالآية الكريمة التى جاءت فى سورة الإسراء للبر بالوالدين الآية رقم ٢٣.

يثيرها البعض كما حدث فى لبنان، ومن خلال ما يُسمّى بالأصولية الإسلامية.

وهذا - أيها السيدات والسادة - خطأ جسيم..

لأن فى بريطانيا نفسها تقعُ مثل هذه الأحداث. فهل نحكُمُ على بريطانيا مثل هذا الحكم بسبب قلة مستغِلّة ضد العدل والقانون؟!

إن الحكم على الشريعة الإسلامية بالقسوة حكمٌ بعيد عن الإنصاف؛ فعلينا أن نفرّق بين الشريعة كنظام وقانون، وبين التطبيق الذى يخضع لأغراض سياسية لا تحترم القانون ولا الدستور..

إن الحكم على وضع المرأة فى العالم الإسلامى من خلال بعض التصرفات المتزمتة لا يعنى أن المرأة مظلومة أو مقهورة فى مجتمعات المسلمين؛ لقد تمتعت بحقوقها فى الإسلام قبل أن تتمتع به المرأة فى سويسرا.

وقد أعطى الإسلام حقوقًا للمرأة لا تتمتع بها فى أوروبا..!

وفى العالم الإسلامى اليوم ثلاث نساء[1] رؤساء لثلاث دول هى: باكستان، وتركيا، وبنجلاديش. وقد جئن بانتخابات ديمقراطية سليمة ... فأين هو الظلم الذى يقع على المرأة؟!

---

(1) كان هذا فى الوقت الذى ألقى فيه هذه المحاضرة؛ فقد كان هناك فى باكستان وبنجلاديش وتركيا ثلاث سيدات يرأسن الوزارة فى هذه البلاد.

كما انه لا يجوز أن ننكر على المرأة المسلمة ارتداءها الحجاب ما دام هذا من صميم دينها وتقاليدها . !

إن علينا أن نميِّز بين الأصولية المتطرفة وبين (الصحوة) الدينية التى تجعل المسلمين يتمسكون بقيمهم ومُثلهم العليا.

إن التطرف ليس حكراً أو خاصاً بالمسلمين؛ فعلى الجانب الآخر هناك تطرف مسيحى وتطرف يهودى بنفس الدرجة.

لقد أسدَى المسلمون خدمات كبرى إلى الحضارة والثقافة، لقد كان المسلمون وعلى مدى ثمانية قرون هم أساتذة العلوم والحضارة والفن والثقافة، وقد كانت (قرطبة) فى القرن العاشر أكثر المدن تحضراً فى أوروبا.

وقد كان الإسلام فى العصور الوسطى هو المثل الأعلى للتسامح، فقد منح المسلمون اليهودَ والمسيحيين حقوقاً متساوية وفتحوا لهم طريق الترقِّى إلى المناصب فى الدولة.

إن الإسلام يقدِّم لنا صورةً متكاملة للتفاهم والتعايش بين جميع البشر، كما أن الإسلام فى حقيقته وجوهره يقدم لنا تصوره الرائع للحياة والكون.

* * *

وهل يصدِّق احد او يتصوَّر أن بريطانيا عرضت نفسها على الإسلام؟ وأن ملكَها أرسل وفداً رفيع الشأن إلى خليفة المسلمين فى الأندلس يطلب مساعدته لاعتناق الإسلام وتعليم القرآن. . . ؟

غير أن هذا حدث، وفى وثيقة نشرتها منذ سنوات صحيفة «الصنداى تايمز» وبخط المؤرخ البريطانى «جبرائيل رونى». . .

تقول هذه القصة:

فى عام ١٢١٣م وبحركة يائسة من الملك جون لاكلاند أرسل وفداً سريًا من ثلاثة أشخاص إلى الأمير محمد الناصر، الحاكم المغربى القوى، يعرض فيها ولاءه، ويَعِدُه بأنه سيكون - أى الملك «جون لاكلاند» - تابعًا مخلصًا، فيما إذا قبل الأمير أن تكون بريطانيا تحت الرعاية العربية، وليؤكد له أن الدخول فى الإسلام هو المَخْرَج من ضغط المشاكل السياسية التى تُلِحُّ عليه ..؟!

لقد وقع بالصدفة بين يدى، النص الحرفى لما حمله الوفد، فى دورية قديمة كانت تصدر فى ذلك الوقت عن أحد الأديرة، عندما كنت أجرى أبحاثًا عن الكاهن الكاثوليكى «روبرت دى لندن» الذى كان صدَرَ بحقه حرمانٌ كنَسِىّ، ونُفِىَ من بريطانيا، بسبب دوره فى ثورة «الماغنا كارتا»...

هذه الحلقة الواقعية المنسية من التاريخ البريطانى، سجلها «ماتيو باريس» المؤرخ الإخبارى الدقيق لأحداث القرن الثالث عشر الذى أخذ حقائقه واستقاها من مصادرها...

وحسبَ ما يقول باريس، إن رجال الوفد الثلاثة كانوا مكوّنين من البارونين «توماى هارنجتون» و «رالف فيتزسنكولاس»، والسيد روبرت دى لندن، غير أن «بارسى» لم يقدم أى تفسير لضم الكاهن اللندنى للوفد، إلا أن السبب الأكثر ترجيحًا، هو أن الملك جون لاكلاند، عهدَ إلى السيد روبرت بإدارة شئون أبرشيته الخاصة، لذلك فهو من المقرَّبين والموثَّقين، وبالتالى فإن اشتراكه

فى الوفد يشكل ضمانًا ضد البارونين؛ كى لا يمارسا عليه خداعًا فى أثناء تأدية المهمة . .

وكان توماس هاردنجتون - رئيس الوفد - قد أعطى تعليمات من قِبَل الملك ليبلغها إلى أمير إفريقيا العظيم وامير المغرب - واسبانيا بأنه - أى الملك البريطانى - سيتنازل طواعية وعن طيب خاطر عن مكانته ومملكته، ويصبح تحت تصرف الأمير العظيم . . وإذا كان يسرهُ فإنه يضع بريطانيا أمانةً بين يديه، ويتخلى عن الاعتقاد بالديانة المسيحية، ويتمسك ويلتزم بكل إخلاص بدين وعقيدة محمد . . . !

ونُقلت رسالة الملك جون أو تعليماته إلى الأمير بواسطة مترجم، حيث تكلم رئيس الوفد بمهارة خطابية هائلة عن غنى الأرض الإنجليزية، وخصوبة حقولها، ومهارة شعبها العظيم الحاذق الخلاّق، ومعرفة هذا الشعب للغات الثلاث: اللاتينية، والفرنسية، والإنجليزية، وإتقانهم لكل مهنة عقلانية . .

وكان رد الأمير المغربى المسلم رَدًا حصيفًا جاء فيه:

«لم أقرأ أو اسمع قط أن ملكًا يمتلك مثل هذه البلاد المزدهرة الخاضعة المطيعة له عن طواعية، فيقوم بتدمير سيادته واستقلاله يجعل بلده الحر يدفع الجزية لغريب . . علمًا أنها يجب أن تكون ملكه وله وحده. ويقوم بتحويل السعادة إلى بؤس، فيسلم نفسه لإرادة آخر، ويهدم بلده دون سبب . .».

وطلب الأمير من أعضاء الوفد الا يمثلوا فى حضرته ثانيةً

ولدى عودتهم إلى بريطانيا بكى الملك جون لأن مساعيه قد أحبطت»..

إن الملك «جون» أو «حنا» هو صاحب «الماجناكارتا» أعظم مواثيق الحرية عند الإنجليز، وتاريخه ومَسْلكه لا غموض فيهما، وإعجاب الرجل بالإسلام لا ريب فيه..!

ترى أين كنا؟ وماذا صنعنا..؟

لقد كانت أوروبا فى القرون الوسطى غاصَّة بالغابات الكثيفة، متأخرة فى زراعتها، وتنبعث من المستنقعات الكثيرة فى أرباض المدن روائح قاتلة، تجتاح الناس وتحصدهم، وكانت البيوت فى باريس ولندن تُبنَى من الخشب والطين المعجون بالقش والقصب «كبيوت القرى عندنا منذ نصف قرن»، ولم يكن فيها منافذ ولا غرف نظيفة، وكانت البُسْط مجهولة عندهم، لا بساط لهم غير القش ينشرونه على الأرض، ولم يكونوا يعرفون النظافة، ويلقون بأحشاء الحيوانات وأقذار المطابخ أمام بيوتهم، فتتصاعد منها روائح مزعجة، وكانت الأسرة الواحدة تنام فى حجرة واحدة تضم الرجال والنساء والأطفال، وكثيراً ما كانوا يُؤوون معهم الحيوانات الداجنة، وكان السرير عندهم عبارة عن كيس من القش فوقه كيس من الصوف، يجعل مخدة أو وسادة، ولم يكن للشوارع مَجارٍ ولا بلاط ولا مصابيح، ولم تكن أكبر مدينة فى أوروبا تضم أكثر من خمسة وعشرين ألفاً[1].

---

(1) من روائع حضارتنا. د. مصطفى السباعى. طبعة بيروت ١٣٨٠هـ

هكذا كان الغربُ فى القرون الوسطى حتى القرن الحادى عشر فما بعده باعتراف مؤرخيهم أنفسهم.

لهذا كتبَ الملكُ جورجُ الثانى ملك إنجليترا رسالةً إلى الخليفة «هشام الثالث» حملتها بعثة من الطالبات الإنجليزيات، وجعل ابنة أخيه الأميرة «دوبانت» أميرةً عليها، وهذا نص الرسالة:

مِن جورج الثانى ملك إنجلترا، والغال فرنسا، والسويد والنرويج، إلى الخليفة ملك المسلمين فى مملكة الأندلس صاحب العظمة «هشام الثالث» الجليل المقام:

بعد التعظيم والتوقير: فقد سمعنا عن الرقىّ العظيم الذى تمتع بفيضه الصافى معاهد العلم والصناعات فى بلادكم العامرة، فأردنا لأبنائنا اقتباس نماذج من هذه الفضائل لتكون بداية حسنة فى اقتفاء أثر منه، لنشر أنوار العلم فى بلادنا التى يحيط بها الجهل من أركانها الأربعة، وقد وضعنا ابنة شقيقنا الأميرة «دوبانت» على رأس بعثة من بنات أشراف الإنجليز لتتشرف بلثم أهداب العرش والتماس العطف؛ لتكون مع زميلاتها موضع عناية عظمتك وحماية الحاشية الكريمة، وهن من لون اللواتى سيوفرن على تعليمهن، وقد زودّت الأمير الصغيرة بهدية متواضعة لمقامك الكريم، أرجو التفضل بقبولها مع التعظيم، والحب الخالص..

من خادمكم المطيع

جورج الثانى

* * *

وقد بعث إليه الخليفة المسلم بهذا الرد:

«بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف أنبيائه سيد المرسلين وبعد:

فإلى ملك إنجلترا الأجلّ .. لقد اطلعت على التماسكم، فوافقت بعد استشارة مَن يعنيهم الأمر على طلبكم. وعليه فإننا نُعلمكم بأنه سينفَق على هذه البعثة من بيت مال المسلمين دلالةً على مودتنا لشخصكم الملكى..»!!!

هشام الثالث

خليفة المسلمين فى الأندلس

* * *

١٥

كلمة حق ..!!!

أَلَمَّتْ بالإنسانية كارثة قد تكون أكثر الكوارث شؤمًا فى العصر الوسيط كله. وقد غرق فيها العالم الغربى، طوال ثمانية قرون، فى مهاوى بربرية كان عصر النهضة قد بدأ يبددها، والتى قوّاها عصر الإصلاح من جديد. هذه الكارثة التى أكره حتى ذكرها؛ هى الانتصار المقيت الذى أحرزه قُرْبَ «بواتيه»، متوحشو الهاركاس من محاربى الفرانك بقيادة الكارولنجى «شارل مارتل» على الكتائب العربية والبربرية التى لم يَعرف القائد عبد الرحمن أن يحشدها بما يكفى، فتراجعت وفشلت، لقد تقهقرت المدنية فى هذا اليوم المشؤوم ثمانمائة عام. وذلك أنه يكفى أن يكون الإنسان قد شاهد حدائق الأندلس، أو البقايا المدهشة لعواصم السحر والحلم أشبيلية، غرناطة، قرطبة، طليطلة، لكى يستشف فى دوار معجز ما كانت قد آلت إليه فرنسا، وقد خلصها الإسلام الحاذق، الفيلسوف، السالم السمح، مِن أهوال لا تسمى، اجتاحت على الأثر بلاد الغال القديمة، التى خضعت بادىء الأمر للعصابات الأوسترازية المتوحشة، ثم جُزِّئت ومُزِّقت وأُغرقت فى الدماء والدموع، وأفرغتها من الرجال الحروب الصليبية، وأتخمت بالجثث مِن جَرّاء حروب كثيرة أهلية وأجنبية، فى حين كان العالم الإسلامى، من الوادى الكبير إلى الأندوس ينمو وينتصر بسلام، زمن الأمويين والعباسيين والسلاجقة. سأسأل فيما بعد هؤلاء

الفرنسيين: ماذا يفكرون فى انتصارنا عام ٧٣٢ على المسلمين؟ وعمّا إذا كانوا يحكمون معى أن هذا الانكسار الذى أصاب شعبًا متمدنًا على يد شعب بربرى، كان بالنسبة للإنسانية جمعاء مصيبة كبرى؟..»

كلود فارير

عالم فرنسى، عضو الأكاديمية الفرنسية

* * *

١٦

الغرب فى طريقه إلى الموت !!!

ليس هذا العنوان من عندى. . بل استعرت هذا العنوان من كاتب أمريكى ألَّف كتابًا يحمل هذا الاسم؛ اسم الكتاب «موت الغرب» «THE DEATH OF THE WEST»، أما مؤلف هذ الكتاب فاسمه بيوكانن «PATRICK BUCHANAN» وهذا الرجل يتمتع بمنزلة رفيعة عند الشعب الأمريكى؛ فقد رشح نفسه لرئاسة الولايات المتحدة مرتين ولم يكتب له النجاح والفوز؛ لأنه رشح نفسه مستقلاً عن الحزبين الجمهورى والديمقراطى اللذين يحتكران السلطة والحكم فى أمريكا.

وقد صدر هذا الكتاب فى أعقاب اليوم الحادى عشر من سبتمبر ٢٠٠١م. حيث دفعته هذه الأحداث لإصدار هذا الكتاب «لأن الحضارة الغربية» - كما يقول - تمر بمرحلة أفول وانهيار. ينطبق هذا الكلام على أمريكا، كما ينطبق على أوروبا. إن الأجراس تدق مؤذنة بفناء الغرب. ويبدو أنه لا رادَّ لهذا القضاء المحتوم، لكن لماذا؟ لسبب يبدو غريبًا جدًا فى نظر شعوب العالم الثالث..!

يقول المؤلف: «إن جملةً من الأخطار تحدِّق بالولايات المتحدة وأوروبا، وقد بدأت هذه الأخطار تنخر كالسوس فى جسم أوروبا وأمريكا؛ فأبناء الحضارة الغربية ينتحرون ولكن فى بطء؛ فنسبة

المواليد تنخفض بنسبة كبيرة يومًا بعد يوم، بينما تتدفق على أوروبا وأمريكا موجات عاتية من المهاجرين من العالم الثالث. وبخاصة من العالم الإسلامى الذى يتمتع أبناؤه بنسبة عالية من الخصوبة المدمرة للبناء الاجتماعى فى أوروبا وأمريكا ..» !!!

ويقول المؤلف:

فى عام ١٩٦٠م كان العدد الرسمى للأوروبيين والأمريكيين والنيوزيلانديين والكنديين والأستراليين حوالى سبعمائة وخمسين مليونًا؛ أى ما كان يعادل ربع السكان فى العالم فى هذا الوقت، أما الآن وفى الوقت الذى تضاعف فيه سكان العالم إلى ستة بلايين، توقف الأوروبيون عن الإنجاب والتكاثر. ويشهد تعداد السكان من أصل أوروبى فى أمريكا وأوروبا هبوطًا ملوحظًا.

ووفقًا لإحصاءات أعدها مكتب الإحصاء فى الأمم المتحدة سوف ينخفض عدد هؤلاء السكان المنحدرين من أصل أوروبى من ٧٢٨ مليون نسمة الآن إلى ٦٠٠ مليون نسمة عام ٢٠٥٠م. إن الوضع السكانى فى ١٧ دولة أوروبية ينذر بالخطر الشديد؛ فبحلول عام ٢٠٥٠م سوف تفقد ألمانيا ٢٣ مليون نسمة من سكانها، وسوف تتحول إيطاليا إلى حديقة متحفية؛ فسوف ينخفض سكانها فى نفس الفترة بمقدار ١٧ مليون نسمة. أما روسيا فسوف تشهد اضمحلالاً سكانيًا شديدًا: من ١٤٧ مليون نسمة الآن إلى ١١٤ مليونًا عام ٢٠٥٠م، ولعل ذلك كان وراء

دعوة فلاديمير زيرونوسكى، وهو من اليمين الروسى المتطرف، إلى إباحة تعدد الزوجات فى روسيا بمعدل ٥ زوجات لكل رجل !!!

* * *

إن إسقاط «الاتحاد السوفيتى» لم يكن الهدف منه القضاء على «الشيوعية» فحسب؛ بل كان الهدف الأول والأكبر كما يقول الرئيس الأمريكى الأسبق «ريتشارد نيكسون» هو منع سقوط هذا الاتحاد فى أيدى المسلمين الذين كانوا يتكاثرون داخل هذا الاتحاد بنسبة ثلاثة من المسلمين لكل واحد من الجنس الروسى أو السلافى، ومعنى هذه الزيادة كما قال «نيكسون» أن يتحول الاتحاد السوفيتى إلى اتحاد إسلامى، مما يعنى سقوط «الترسانة» النووية السوفيتية فى أيدى المسلمين، وهذا ما لا تسمح به أمريكا ولا الغرب أبداً. . !!

مَن كان يتخيل هذا التداعى السريع المتلاحق للأحداث فى العالم: سقوط الشيوعية وانهيارها فى دول أوروبا الشرقية، وسقوط حائط برلين، واتحاد شطرَىْ ألمانيا، مَن كان يتصور سقوط الشيوعية فى الاتحاد السوفيتى، وتفكك هذا الاتحاد إلى جمهوريات مستقلة، واختفاء القوة الثانية فى العالم، ومن يتصور الآن النهاية المحتومة للولايات المتحدة الأمريكية؟

منذ ٧٠ عاماً نشر «أوزوالد شبنجلر» بين مثقفى أوروبا نظرية

تقول إن الحضارة الأوروبية ـ وقد بلغت يومئذ أوجها ـ قد وصلت إلى القمة التى لا بد بعدها من التراجع.

وعندما سُئل «شبنجلر» منذ ٧٠ سنة: متى تتوقع أن تتحقق نبوءتك؟ قال: قريبًا، ولما تنبأ «ارنولد توينبى» منذ نيف وخمسين عامًا أن العالم ستحكمه قوى روحية نابعة من الشرق لم يصدِّقه أحد يومذاك، وما زالوا غير مصدقين لتوقعاته..!!!

يقول الدكتور «محمد صبور»: إن علماء التاريخ يُرجعون سقوط الدولة الرومانية إلى أربعة عوامل:

(١) إصابات الزمن، وأحداث الطبيعة.

(٢) عدوان البرابرة، وهجوم المسيحيين على الدولة.

(٣) الإفراط فى استخدام الموارد وسوء استخدامها.

(٤) الخلافات الداخلية والصراع بين الرومان أنفسهم.

ويرى المحللون المدققون أن السبب الرابع ـ وهو الصراعات الداخلية – هو أهم هذه العوامل وأشرسها. ولو أن الأمم تميل إلى الاعتقاد بأن ثانى هذه العوامل (الهجوم الخارجى) هو السبب المباشر.

وقد بدأ المجتمع الأمريكى يشعر بعوامل الضعف، وتسلل إلى مثقفيه إدراك بأن ما يهددهم حقًا هو الانحلال من الداخل.

إن الجريمة فى المدن الأمريكية تزداد انتشارًا وعنفًا سنةً بعد

سنة، والمخدرات تنتشر بين كافة قطاعات المجتمع، لا تفرِّق بين طبقة وأخرى.

يتنشر الشعور فى كل أنحاء أمريكا - بطولها وعرضها - أن الحياة صارت جديرةً بالازدراء، وباهظةَ التكاليف، وغير آمنة، وأن البلاد تَعدَّت المرحلة التى يعتبرها «شبنجلر وتوينبى» - والمؤمنون بتوقعاتهما - مرحلة النضوج.

ويشير المفكر الصحفى «البستر كوك» إلى ظهور قرينتين تشيران إلى اقتراب الكارثة:

(١) التحلل من كافة القيم.

(٢) عدم تمكُّن القانون والمحاكم من كبح جماح الانحدار السريع فى السلوك العام والقيم، ووصولها إلى مستوى المسئولين عن الحفاظ عليها ورعايتها، ويتوقع أنه إذا وصلت البلاد لنقطة اللاعودة فهناك أحدُ احتمالات ثلاثة:

(١) حربٌ أهلية تُشعِلها هيئةٌ محلية أو عِرقية أو اجتماعية أو دينية أو جميعها.

(٢) ظهورُ ديكتاتور جبار يحكم البلاد بالحديد والنار رافعًا راية الحرية ومتشدقًا بها.

(٣) عودةٌ سريعة إلى نظامٍ اشتراكى يقوم بتقريب الفوارق بين الطبقات التى يزداد فيها الغَنِىُّ غِنًى والفقير فقرًا، مشابهًا للنظام الذى جاء به «فرانكلين روزفلت» منذ ما يزيد على نصف قرن.

إن العنف ينتشر كالوباء فى أوروبا وأمريكا، والجرائم تقع كل يوم بسبب وبغير سبب فى مختلف أقطار الدنيا[1].

يقول الأب «بيلى غراهام» ـ وهو من أشهر رجال الدين فى أمريكا فى كتابه (العالم يحترق):

* لقد ضربت المواليد غير الشرعية رقمًا قياسيًا، وانتشرت الأمراض التناسلية بشكل وبائى مريع فى الأمة بأسْرِها.

* نتيجةً لنسبة الطلاق والانفصال والهجر المتزايد يعيش نحو اثنا عشر مليونًا من خمسة وأربعين مليون طفل فى الولايات المتحدة الأمريكية، بعيدًا عن والديهم أو أحد والديهم على الأقل.

* كلُّ صفحة مِن صفحات جرائدنا اليومية تبيِّن بوضوح الانحلالَ الخُلُقى والروحى.

* كم هو مُحْزِنٌ وساخرٌ أن الحضارة التى أنتجت أفضلَ السيارات وأفضلَ البرّادات، وأفضلَ أجهزة التلفزة، أنتجت فى الوقت ذاته أسوأ البشر!!.

* فى تقرير عن الصحة العامة بالولايات المتحدة، يقاسى ٨ ملايين شخص من نوع أو آخر من الأمراض العقلية، يعالَج من هذا العدد مليون شخص كل عام، ويشغل المرضى الذين يقاسون من بعض الأمراض العقلية أو النفسية ما يربو على ٥٠ ٪ من مستشفيات الأمة.

---

(١) الغرب والعالم. كافين رايلى، جـ١ ص١٧٥ ـ الطبعة العربية.

* المُسكِرات أصبحت الآن كارثة قومية.

* كل ليلة تُبتلع ملايين الحبوب المنومة لمساعدة الشعب على النوم، وهذه المنومات والمسكنات تهدئنا فى النهار، وملايين من الأقراص المنبهة توقظنا فى الصباح بعد أن تنتهى الأشياء التى تهدئنا فى الليل!!!.

* هناك إشارة مناسبة لحيرة الإنسان اليوم، هى تلك الإشارة التى نراها على النافذة الخلفية لكل سيارة: «لا تتبعنى فأنا ضائع»!!!

تقول مجلة تايم (TIME):

* قبل نهاية هذا القرن (١٩٩٨م) سيكون فى الولايات المتحدة عشرة ملايين مواطن مصابين بالإيدز.

* وفى مجلة «تايم» الصادرة يوم ٩ ديسمبر ١٩٨٩م تقول هذه المجلة تحت عنوان (أطفال يحملن أطفالاً):

«فى كل عام تحمل أكثر من مليون بنت أمريكية مراهقة - المراهقات فقط - وبين كل خمس منهن تحمل أربع منهن سفاحًا»..!!

وفى تقرير لابنة الرئيس السابق ريجان واسمها (مورين): أن فى الولايات المتحدة أكثر من ثلاثة عشر مليونًا من الأطفال لا آباء لهم!!

* وفى مجلة (تايم) العدد رقم ٣٣ لسنة ١٩٩١م تقول المجلة:

«إن عدد المصابين بالشذوذ الجنسى من بين أفراد القوات المسلحة الأمريكية يتراوح بين مائة ألف ومائتى ألف من الجنسين» !!!

وفى الولايات المتحدة تقع جريمة فى كل خمس ثوانٍ .. وفى كثير من المدن لا يخرج أحد من بيته بعد غروب الشمس خشية السرقة أو القتل.

* وفى العدد نفسه وفى صفحة ٤٣ تقول المجلة:

«إن عدداً كبيراً من الكرادلة ـ من كبار رجال الكنيسة الكاثوليك ـ يمارسون الشذوذ الجنسى فيما بينهم» .. !!!

* وفى هولندا .. عقدت الكنيسة عَقْدَ زواج رجلٍ برجل ما دام هذا يحقق السعادة لكل منهما!!!

* وفى تقرير لصحيفة (الديلى ميل) البريطانية؛ أن الإحصائيات تشير إلى أن ٨٠٪ من الرهبان يمارسون الزنا، وأن ٤٠٪ منهم شواذ .. !

* وفى صحيفة (وول ستريت جورنال) بعددها الصادر يوم ١٧ إبريل ١٩٩٣م كتبت هذه الصحيفة تقول:

«إن إحدى السيدات ارتكبت ١٥٥ جريمة جنسية، وكان من بين ضحاياها عشرون طفلاً فى روضة أطفال تابعة لإحدى الكنائس .. » !!!

وكان مبنى روضة الأطفال يقع فى الكنيسة نفسها التى نادراً ما تخلو من المصلّين .. وقد أصدرت المحكمة حكماً يقضى بسجن السيدة مدة ٤٧ عاماً».

وفى الولايات المتحدة يوجد ٢٥,٠٠٠,٠٠٠ (خمسة وعشرون مليونًا) من مدمنى المخدرات، بلغَ ما ينفقونه فى العام الواحد ١٨٥,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ (مائة وخمسة وثمانين مليارًا) من الدولارات!

وتشير تقارير منظمة الصحة العالمية لهذا العام[1] إلى أن معدّلات الحوادث فى الولايات المتحدة فى تزايد مستمر على مدى الـ ٣٠ عامًا الماضية، والمعدَّل المرتفع لحوادث القتل فى أمريكا الذى يصل إلى أضعاف الدول الغربية الأخرى يجعل واشنطن تفوز بلقب «عاصمة القتل فى العالم»!!

***

(١) سنة ١٩٩٨ م.

١٧

الفراغ الروحى الذى يعيشه الغرب

يقول الدكتور عبد الحليم محمود[١]: شيخ الأزهر الأسبق:

قبل خمسين عامًا زارنى أحد الأساتذة الأمريكيين، فأخذته إلى الجامع الأزهر، وبينما نحن نتنقل من رواق إلى آخر سألنى عن (لجنة الفتوى)، فحدثْت هذا الأمريكى عن لجنة الفتوى، ورسالتها، فرغب فى زيارتها والتعرف على أعضائها.

دخلنا القاعة فكان فيها المرحوم الشيخ عبد المجيد سليم[٢]، والمرحوم الشيخ محمد العنانى؛ وبعد التعارف والتحية خاطبَ العالِمُ الأمريكى فضيلةَ الشيخ عبد المجيد سليم قائلاً:

«إن الغرب الآن فى حالة روحية قلقة، ومن الممكن أن يتجه إلى الإسلام، ولكن من المحتمل أن يتجه إلى صوفيه الهند، فهل أعدَّ الأزهر عُدَّته لتوجيه الغرب نحو الإسلام»؟

وكان السؤال مفاجئًا أو مربكًا.

ولكنَّ فضيلة الشيخ عبد المجيد سليم أجاب وفى أسلوب دبلوماسى لبق:

«إننا بصدد الدراسة والبحث»..!

---

(١) أوروبا والإسلام. الدكتور عبد الحليم محمود - صفحة ٢١٨.

وانظر فى ذلك أيضًا: كتابنا (حتى لا نخدع) صفحة ٢٣٨.

(٢) شيخ الأزهر الأسبق.

وفى لقاء بين أحد المحررين فى صحيفة الأهرام وبين مجموعة من الأوروبيين والأمريكان الذين حضروا إلى مصر، سألهم عن السبب الذى دعاهم لرفض المسيحية، واعتناق عبادة فرعونية قديمة . . .؟

فقالوا:

«وماذا صنعت لنا دياناتنا القديمة سوى الخراب والدمار والحروب والموت؟

لقد كفرنا بكل شىء . . طلَّقنا ديانات الآباء والأجداد التى فشلت فى زرع السلام والخير . .

لقد ضلَّت خُطانا فى كل دروب الأرض، ولم نجد هذا السلام وهذا الخير إلا عند آلهتكم القديمة، وإخناتون . . . ورع»!!

ويقول المحرر:

«سألتُ كل الرجال والنساء الذين أجريت معهم هذا الحوار عن السر فى هذا التحول، فاتفقت إجابتهم جميعًا على أنهم وجدوا فى عبادة آلهة المصريين القدماء راحة نفسية لم يجدوها فى الكنيسة أو المعبد»[1] !!

* * *

---

(١) عزت السعدنى. الأهرام ٧/ ١٢/ ١٩٨٣م.

وفى الطائرة المصرية المتجهة إلى «زيورخ» دار هذا الحوار بين أستاذ مصرى وشاب سويسرى:

قال المستر «توماس» وهو اسم الشاب السويسرى:

إننى أنا وكثيرين غيرى لم نعد نفهم لهذه الحياة هدفًا أو معنى.

قلت له: ألستَ مسيحيًا؟

فقال الشاب: نحن لم نعد مسيحيين فى سويسرا!

قلت له: ولماذا لا تعودون إلى المسيحية؟

قال الشاب: ظننتُ أنك ستدعونى إلى الإسلام..؟!

قلت له: أتمنى أن تعرف أوروبا الإسلام معرفة صحيحة وأن تعتنقه.

قال الشاب: أنا أؤمن بالمسيح .. ولكن كنبىٍ فقط .. لا كإله .. وأظنكم تؤمنون به هكذا.

قلت له: هو نبى كريم حقا، وليس إلهًا، ولا ابنَ إله.

فقال الشاب: أنا لا أفكر فى شىء سوى الانتحار .. والتخلص من هذه الحياة التى لم أعد أثق فيها بأحدٍ أبدًا.. !!!

* * *

وفى أمريكا عُثر على بقايا عظام وجثث آدمية فى مدينة (سانتا مونيكا) فى ظروف غريبة محيرة .. إلا أن المحققين اكتشفوا سر

هذه العظام والجثث بعد تحريات دقيقة واسعة .. وقد تبيَّن من هذه التحريات:

أن هذه العظام وهذه الجثث كانت بقايا (قدَّاس)، أقامه عبدة الشيطان فى مدينة (سانتا مونيكا) ..!

كما أكدت هذه التحريات أن عمليات القتل تمت بعد القيام بأعمال جنسية فاضحة ومخجلة..!!

كما تبين أن هذه الطقوس الشيطانية تقام فى أجزاء عديدة من الولايات المتحدة ..

وسرعان ما كشفت التحقيقات عن شخص اسمه (انطون لافى) وصفته وكالات الأنباء بأنه كبير كهنة الشيطان، أو كبير كهنة جهنم ..!!

فى حين يطلق عليه أتباعه اسم «بابا أمريكا الأسود» ..!!

وقد أسس هذا الكاهن الجهنمى كنيسةً، أطلق عليها اسم «كنيسة الشيطان». كما قسم أتباعه إلى أربع درجات؛ بدءاً من الأدنى إلى الأعلى حسب النظام الكنسى المعمول به فى بقية الكنائس الأخرى:

الدرجة الأولى: درجة (تابع) وتُطلَق على المنخرط الجديد فى سلك (الشيطنة)..!

الدرجة الثانية: درجة ساحر أو محارب، وتطلق على النشطين فى الدفاع عن (كبير كهنة جهنم) ..!!

الدرجة الثالثة: درجة كاهن أو كاهنة، وتُطلَق على من يُثبت براعةً أو تفوقًا فى خدمة الشيطان الأكبر ..

الدرجة الرابعة: درجة (كاهن المعبد) أو (كاهنة المعبد)، وهى تعادل درجة «الأسقف» أو «المطران»، وتَلِى الدرجةَ التى يُمثِّلها «كبير كهنة جهنم»[1] . . !!

* * *

وقد نشرت مجلة (نيوزويك) NEWS WEEK [2] تحقيقًا مذهلاً عن عدد الطوائف التى بدأت تنتشر على نطاق واسع فى أمريكا وأوروبا، لقد انتهى دور (الكنيسة) ولا أقول الدينِ فِى مجتمع الحضارة الغربية. أما لماذا؟ فالأسباب أكثر مِن أن تُعَدَّ، فالفساد تَجاوزَ حدودَ المنطق والعقل. غير أن الأهم من هذا كله كما يقول (الفيلسوف) البريطانى (برتراند راسل): «إن المسيحية الحاضرة ليس لها صلة بالمسيح أصلاً . . وإن أول وآخر مسيحى حقيقى مات قبل تسعة عشر قرنًا».

وقد ألَّف حول هذه القضية كتابًا سماه:

«لماذا أنا لست مسيحيًا؟[3] WHY I AM NOT CHRISTIAN».

إن الفراغ هائل . . والطريق أمام الإسلام سالكة وواسعة . .

---

(١) انظر فى هذا ـ حوار صريح بين عبد الله وعبد المسيح ـ للمؤلف ـ الدار السعودية.

(٢) ٦ يناير سنة ١٩٨٤م.

(٣) نشر دار ماكميلان للنشر ـ لندن.

ولكن أين الدعاة . . ؟؟ أين المخلصون المتجردون فى دعوتهم إلى الله . . ؟

منذ حوالى خمسين عامًا . . التقى علامة الهند مولانا عبد العليم الصدِّيقى رحمة الله عليه فى مدينة نيروبى عاصمة «كينيا» بالمفكر البريطانى الراحل (جورج برنارد شو G.B.SHAW) ، ودار بينهما حوار طويل عن الإسلام وقضايا الإنسان ومشكلاته فى هذا العصر[1]. خرج منه ـ أى من هذا الحوار ـ جورج برنارد شو مقتنعًا تمام الاقتناع بالدور الحضارى والإنسانى الذى يمكن أن يقدمه الإسلام إلى الإنسانية التائهة فى سراديب الظلمات والتسلط والقهر . .

وقد زار ـ برنارد شو ـ بعد ذلك أقطاراً إسلامية كثيرة فى أدنى الشرق وفى أقصى الشرق. وحين سُئل عن انطباعاته حول هذه الرحلة قال:

«لقد تعرَّفتُ على الإسلام بصورة لم تُتَحْ لى من قبل، وقرأتُ معانى القرآن كما ترجمَها المسلم البريطانى (محمد مارمادوك)، فرأيتُ العظمة والجلال فى هذا الكتاب، الذى يرتقى بقارئه إلى أرقى درجات الكمال والعقل.

ولو كان للإسلام دعاةٌ على مستوى هذا الكتاب، ومستوى هذا الدين، لأسلمتْ أوروبا كلها قبل نصف قرن، ولَدانَ به معظم

---

(١) انظر نص هذا الحوار فى كتابنا «حتى لا تخدع» ـ دار الشروق ـ القاهرة

الناس فى الشرق والغرب، غير أنى لم أصادف مثل هذا الداعية إلا فى رجل واحد من الهند».

وفى أوائل الأربعينيات من هذا القرن، سافر (جورج برنارد شو) إلى (سنغافورة) على ظهر الباخرة : THE IMRESS OF (GREAT BRITAN)..

فأجرى معه رئيس تحرير إحدى المجلات حواراً قال فيه:

«قرأت لك مقالاً فى صحيفة (COSMOPOLITAN) تمدح فيه الإسلام، وأحب ـ الآن ـ أن اسمع رأيك فى الإسلام»؟

فأجاب: «الإسلام دين الديمقراطية وحرية الفكر .. ودين البيع والشراء .. وفوق ذلك فهو دين الجنتلمان ..!!! إلا أن هناك أمراً مهما يجب أن لا اغفله ..».

ـ فسألته: «وما هو ..؟».

ـ أجاب: «الإسلام شيء .. والمسلمون شيءٌ آخر .. الإسلام حَسَنٌ ولكن أين المسلمون؟!!».

ـ قلت: «إذن تعتقد أن المسلمين ليس لهم من الإسلام إلا الاسم. وهل تقارن المسيحية كنظام اجتماعى بالإسلام ..؟

ـ أجاب: «كلا، ليس فيما أعرف من الأديان، نظاماً اجتماعياً صالحًا كالنظام الذى يقوم على القوانين والتعاليم الإسلامية...!!!».

ـ قلت: «ولكن هناك حركات تدل على أن المسلمين بدءوا يستيقظون».

ـ قال: «وأين هذا؟».

ـ أجبت: «فى الشرق العربى».

ـ قال: «هؤلاء جُلُّهم من أصل عربى، وحركتهم جنسية أكثر منها إسلامية!».

ـ قلت: «لا أظن ذلك .. ولكن ما رأيك؟».

ـ أجاب: «الإسلام لا يستيقظ إلا إذا عمل المسلمون بصفتهم مسلمين فقط، وتجنبوا ما نسميه (الروح الوطنية) والغلو فى القومية ..!!!».

ـ قلت: «فى أوروبا وأمريكا مبشرون إسلاميون؛ فما رأيك فى هؤلاء؟».

ـ أجاب: «لا شك أنهم يستحقون العطف؛ إذ أننى لا أظن أن المسلمين يقدِّرون التبشير بالإسلام كما يقدِّرُ المسيحيون ـ على اختلاف مذاهبهم ـ التبشير بالمسيحية، فليس للمسلمين جمعية تبشير تضاهى أية جمعية تبشير لأى فرقة مسيحية ..!!!».

* * *

١٨

التحدى الحقيقى الذى يواجهه الغرب

من الظواهر التاريخية التى حيرت المؤرخين فى بلاد الغرب ظاهرةُ انتشار الإسلام فى أوروبا والولايات المتحدة، هذه الظاهرة التى يرى بعض المؤرخين أنها عجيبة.! والأعجب من ذلك أن يكون هذا الانتشار فى زمنٍ فقد فيه المسلمون كل عناصر القوة، وفى الوقت الذى يهاجَمُ فيه الإسلام بقوة وشراسة فى أوروبا وأمريكا.!

لقد أقبلَ الناس على الدخول فى الإسلام كما يقول «مونتيه» لأن الإسلام عقلانى الجوهر وفيه مزايا جليلة إلى جانب مبادئه البسيطة التى لا تَقْبَل الجدل، أقبلوا عليه كما يقول «توماس أرنولد» دون أية محاولة للإرغام والاضطهاد؛ لأنه دين يحترمه العقل، وتطمئن إليه النفس والقلب.! ومن الظواهر المصاحبة لحركة انتشار الإسلام فى هذه الدول؛ أن معظم الذين يعتنقون الإسلام جاءوا من كبريات الأسر أو من المثقفين الذى يفكرون بعقولهم فى حقيقة دينهم الذى لم يعد له فى حياتهم أثر..!

قبل خمس سنوات سافرتُ إلى بريطانيا للمشاركة فى مؤتمر دعا إليه «المجلس الإسلامى العالمى». وبعد الانتهاء من أعمال هذا المؤتمر التقيتُ ببعض الأخوة البريطانيين للتشاور حول أوضاع المسلمين فى بريطانيا وغيرها من الدول.

فى حدائق «Kensington» «كينسنجتون» كنت أسير ومعى «البروفسور عبد الحكيم ونتر» بعد تناول وجبة الطعام فى مطعم عربى بشارع «كوينزواى» Queen's way.

لقد سألنى الأخ عبد الحكيم: هل قرأت صحف لندن اليوم؟

قلت له: وماذا فى هذه الصحف؟ إننى لا أجد وقتًا لقراءة صحيفة عربية أو إنجليزية؛ فما بقى لى فى لندن سوى يوم واحد أغادر بعدها العاصمة البريطانية عائداً إلى القاهرة.

قال الأخ عبد الحكيم: إن هناك ضجة فى مجلس العموم بسبب قاضى المحكمة العليا المستر «سكوت» «Scott»، الذى يحقق فى فضيحة تهريب الأسلحة إلى العراق. لقد طلب مجلس العموم سحبَ هذه القضية من القاضى ولسبب غاية فى الغرابة.. قلت للأخ عبد الحكيم: وما السبب فى اتخاذ هذا الموقف من هذا القاضى؟ أجاب: السبب كما تقول الصحف أن لهذا القاضى «ابنتين» تدرسان فى جامعة «أكسفورد» وأن هاتين الابنتين قد أسلمتا وانضمتا إلى قافلة الإيمان فى مدينة «أكسفورد»!!!

إن الإسلام يتقدم بخطى ثابتة فى بريطانيا التى يعيش فيها اليوم أكثر من مليونَىْ مسلم. وبالرغم من حملات الكراهية وإثارة الشكوك ضد الإسلام والمسلمين فى بريطانيا وعموم أوروبا، فإن الإسلام يكسَبُ كل يوم جديداً، وحتى بعد أحداث الحادى عشر من سبتمبر فإن الإقبال على الإسلام قد ازداد، والكتب الإسلامية بدأت تنتشر انتشاراً واسعًا أضعاف ما كانت عليه قبل وقوع هذه الأحداث!!!

وقبل أسابيع نشرت صحيفة «الصنداى تلغراف» «The Sunday Telegraph» مقالاً تحت عنوان «جو» يشهر إسلامه. ويقول هذا المقال الذى نشرته «الصنداى تلغراف» أنه نجل «فرانك دوبسون» أحد الوزراء السابقين بمجلس الوزراء البريطانى، وهو أحد أفراد الطبقة الوسطى البريطانية التى تشهد إقبالاً ملحوظًا من أفرادها على اعتناق الإسلام.

وكان «جو أحمد دوبسون» ٢٦ عامًا - قد نشأ فى جوٍ لم يكن ينال رضاه، ولكنه الآن يؤدى صلواته لله خمس مرات فى اليوم، ويقرأ القرآن ويخطِّط للسفر إلى مكة للحج.

وعلى النقيض مما حدث لما يُقَدَّرُ بـ ١٠ إلى ٢٠ ألف بريطانى اعتنقوا الإسلام خلال الـ ٢٠ عامًا الماضية فإن أسرة «جو» لم تتلق قراره بخوف، على الرغم من أن والده كان يشغل منصب وزير الدولة للصحة فى ذلك الوقت.

فى حديثه العام عن قصة إيمانه للمرة الأولى أشار إلى أن انطباعاته الأولية عن الإسلام كانت فى أغلبها سلبية.

ولكن فى عامه الـ ١٦ قدَّم إليه أحد أصدقائه الترجمة الإنجليزية للقرآن، ويصف «أحمد» ما حدث بعد ذلك بقوله: «كانت القراءة فيه بمثابة الوحى» وأضاف قائلاً: «لقد كان مختلفًا تمام الاختلاف عن كافة مدركاتى السابقة عن الإسلام؛ فقد امتدح التعليمَ للرجل والمرأة، ويقول: إن عليك أن تعامل كل شخص باحترام».

ويعلق «جو أحمد» على مشاعره بعد إشهار إسلامه قائلاً:

«كان إيمانى بأن ذلك هو فى الحقيقة إيمان يتنامى، إلا أننى لم أكن أرغب فى إعلان إسلامى إلى أن تأكدتُ من أننى سأعيش بهذا الدين». ويضيف «جو أحمد» قائلاً: «والآن فإن الله يقود خطواتى عندما أتخذ قرارات تتعلق بالجانب الأعظم من شئون حياتى».

وقد أظهرت أسرته تأييدها الدائم له، وعلَّق «جو» على ذلك بقوله: «يبتاع لى أبى كتبًا عن الإسلام فى كل كريسماس». !!!

واليوم يعيش «جو أحمد» بعد زواجه من فتاة مسلمة فى جنوب لندن على مقربة من مسجد بريكستون.

وتشير الإحصائيات إلى أن عددَ من اعتنقوا الإسلام بعد هجمات ١١ سبتمبر على الولايات المتحدة يتجه إلى التزايد؛ فأحد مساجد مدينة مانشستر البريطانية أعلن اعتناق ١٦ شخصًا للإسلام خلال الأسابيع القليلة الماضية. وقد علق محمد صديق صادون ـ باحث زائر بالمعهد الإسلامى فى ليسيستر بقوله: «هناك طفرة؛ فالإساءة المنتظمة للإسلام أيقظت العقل الغربى الفضولى لطرح سؤال حول ماهية هذا الشر». ؟!

وبالنظر إلى ما يتردد فى الغرب من أن الإسلام يعامِل النساءَ كمواطنين من الدرجة الثانية فإنه ـ ومما أثار الدهشة ـ أن غالبية من اعتنقوا الإسلام كانوا من النساء؛ ففى الولايات المتحدة فاق عدد النساء اللاتى أعلنَّ إسلامهن عدد نظرائهم من الرجال بنسبة ٤ إلى ١، وفى بريطانيا بنسبة ٢ إلى ١.

وتشير الدراسات إلى أن جانبًا كبيرًا من المسلمين الجدد فى بريطانيا لديهم خلفيات متعلقة بالطبقة الوسطى مثل «ماثير ويلكنسون» أحد أفضل طلبة مدرسة «إيتون» الشهيرة واحد خريجى جامعة كامبريدج، ونجل جون بيرت المدير العام السابق لـ «بى بى سى»، ونجل القاضى سكوت الذى رأس التحقيقات بشأن توريد أسلحة بريطانية إلى العراق.

من جانب آخر تمثل «حرفية بال حليم» نموذجًا للبريطانيات اللاتى اعتنقن الإسلام؛ فهى خريجة جامعة سانت أنى بأكسفورد وكان والدها يهودى الديانة، بينما كانت والدتها تنتمى للروم الكاثوليك، وقد تحولت «حرفية» إلى الإسلام فى عام ١٩٧١م. وهى تعلق على ذلك بقولها: «ما حدث فى الغرب هو أن تيار الأنثوية «FEMINISM» قد سلبَ حقوقها كامرأة؛ فقد أجبرها على الذهاب إلى العمل، وقل عدد الزيجات تدريجيًا، وهذا أمر يقوم الإسلام بتوفير الحماية منه، وأشعر الآن أننى أكثر حرية فقد أصابنى الاضطراب بشأن القيم التى يتمسك بها مجتمعنا؛ فهو يتوقع أن تكون المرأة رجلاً وامرأةً، وأن تكون مغرية وفاضلة، وأن تكون جميلة وذكية وأى شىء آخر!!!».

وهذا هو التحدى الحقيقى الذى يواجهه الغرب.!!!

* * *



١٩

مفاجأة فى ريجنت بارك REGENT PARK

قبل حوالى سبع سنوات تلقيتُ دعوةً من «المجلس الإسلامى العالمى» «THE WORLD ISLAMIC COUNCIL» لحضور مؤتمره الثانى الذى عُقد فى مدينة لندن لبحث شئون الدعوة فى بلاد الغرب، كنت أتوقع ان أرى فى هذا المؤتمر المسلمين البريطانيين أو حتى على الأقل مشاهير المسلمين.

غير أنى لم أشاهد أحداً من هؤلاء المسلمين البريطانيين الذين اعتنقوا الإسلام عن إيمان ويقين؛ بل كان جُلُّ مَن حضر هذا المؤتمر إمّا عربًا أو هنوداً أو باكستانيين! لقد فقد هذا المؤتمر مبرر انعقاده من أول جلسة، وقد رأيت من العبث الاستمرار فى حضور جلساته، كما رأيت من الأفضل البحث عن هؤلاء الأخوة البريطانيين الذين تربطنى بهم معرفة وثيقة وأخوّة صادقة عميقة.

* * *

لم تكن الساعة قد تجاوزت الرابعة ظهراً بتوقيت بريطانيا الصيفى حين دلفت من البوابة الكبرى إلى داخل متنزَه «ريجنت»، كنت أجلس وحيداً على أحد المقاعد الكثيرة المنتشرة حول بحيرة «البط»، بينما كانت أسراب «الحمام الملكى» تحوم من حولى. تلتقط فتات الخبز الذى كان الأطفال يحملونه معهم لإطعام الحمام

والبط. وقد انشغلت عن هذا كله بالقراءة فى الكتاب الذى كنت أحمله معى؛ كان اسم هذا الكتاب «عاصفة الصحراء WIND THE SAHARE» وكان مؤلفه اسمه R.V.C. BODLEY السير «رالف بودلى» فقد عاش هذا الرجل تجربة قاسية بين العرب الرُّحَّل فى صحارى شمال أفريقيا، ورأى ما يتعرض له هؤلاء البدو الرُّحَّل من صعاب ومصائب ينهار من شدة وطأتها الجبل، غير أنهم كانوا يقاتلون هذه الشدائد بالصبر والرضا، ثم بالدعاء والصلاة إلى ربهم الأعلى! يقول السير رالف بودلى: «لقد بدأت أتساءل بينى وبين نفسى عن السر وراء هذه الطمأنينة وهذا الهدوء، فعرفت أنه «الإسلام»؛ لأن المسلم الحق الذى أشربت روحه تعاليم «النبى محمد» لا يغضب إذا أسىء إليه، ولا يسخط إذا فقد أعز ما يحرص عليه! وقد دفعنى هذا إلى دراسة الإسلام،وقد انتهت بى هذه الدراسة إلى تأليف كتاب عن (النبى محمد)». لم تكن المفاجأة فيما قلتُه الآن، بل كانت المفاجأة فى هذه السيدة التى جلست قريبًا منى على الطرف الآخر من المقعد، لقد لفت نظرَها الكتاب الذى كنت أقرأ فيه، ثم سألتنى: «هل أعجبك هذا الكتاب؟». قلت لها مؤكداً اعجابى بهذا الكتاب: نعم، وإلا ما اشتريته. قالت: هل تعرف من مؤلفه؟ قلت لها: طبعًا إنه السير رالف بودلى. فعادت تسأل: هل تعرف أننى حفيدته؟ قلت: وكيف أعرف ذلك ولم يسبق بيننا تعارف من قبل، ولم أرك إلا منذ دقائق فقط؟! فأخبرتنى أن اسمها «سارة» وأنها تبحث منذ سنوات عن مسلم يشرح لها الإسلام، ولكنها لم

تعثر على هذا الشخص حتى هذا اليوم .. قلت لها: ولماذا لا تذهبين إلى المركز الإسلامى؟، قالت: إنى أعيش فى ضاحية «WATERLOO» وهى ضاحيةٌ بعيدة جداً عن هذا المكان، وأكون سعيدة لو أعطيتنى العنوان. قلت: ولماذا أكتب لك عنوان المركز الإسلامى وهو منا على قيد خطوات؟ هيا بنا أيتها الأخت العزيزة «سارة» إلى المركز. وهناك استقبلها الأستاذ الدكتور عبد الجليل إمام المركز بحفاوة، واشترك معه فى هذه الحفاوة بعض المسلمين الإنجليز الذين كانوا فى زيارته بمحض الصدفة.

لقد اختارت السيدة «بودلى» الإسلام منذ ذلك اليوم ـ غير أنها ـ كما أخبرنى المرحوم الدكتور عبد الجليل انقطعت عن زيارة المركز حتى فوجىء بزيارتها له بعد شهرين، أما لماذا غابت عن المركز كل هذه المدة؛ فلأنها كانت سافرت إلى الولايات المتحدة لزيارة ابنها الذى يعمل مهندسًا فى مدينة «نيويورك»، وهنا كانت المصادفة الثالثة! لقد صادف وصولُها إلى «نيويورك» قدوم اليوم الأول من شهر رمضان المعظَّم، وقد عرفت السيدة «سارة» ذلك حين اعتذر ابنها عن عدم مشاركتها فى طعام الغداء، فلما سألته عن سبب هذا الامتناع أخبرها أنه أسلم، وصوم شهر رمضان فرضٌ وواجبٌ على كل مسلمة وعلى كل مسلم!!!

* * *



٢٠

مجموعة كمبريدج

فى مدينة كمبردج وفى شارع «هينتون أفنيو» Hinton Avenue كانت إقامتى مع أسرة إنجليزية. كنا فى هذا البيت مجموعة من مختلف قارات العالم .. واحد ألمانى، وواحد سويسرى، ورابع إيطالى، بالإضافة إلى طالب آسيوى وهو «تورجوت». وآخر مكسيكى هو «كارلوس»، وثالث افريقى وهو «أنا»..!

كان أول عمل قمتُ به بعد استقرارى فى هذا البيت الالتحاق بمدرسة خاصة لتعليم الإنجليزية .. وقد نصحنى الأخوة العرب بالالتحاق بمدرسة «ستوديو سكول ـ أف ـ انجليش Studio School of English، كانت هذه المدرسة تقع قريبًا من البيت الذى أسكن فيه وفى شارع قريب من محطة السكة الحديد Station Road corner.

كانت بداية هادئة وجميلة. غير أنى لاحظت ـ بمرور الوقت ـ من الدارسين الذين كانوا يقيمون معى فى البيت، أمورًا غريبة بعد أن عرفوا أننى مسلم!

عرفوا ذلك حين كنت أتحدث إلى صاحبة البيت بالآ يحتوى طعامى على لحم خنزير .. وأن تتفضل مشكورة بعدم وضع أى مسكر أمام مقعدى فى غرفة الطعام..!

فالإسلام كما عرفوه، ودرسوه دين همجى..! وأتباعه لا بد وأن يكونوا على شاكلته وإن عاشوا فى مجتمع متحضر..!

وقد لاحظتُ أيضاً أن صاحبة البيت - الذى كنت أنزل فيه مع هذه المجموعة - بدأت تراقبنى خفيةً..! كانت تتعمد دخول «الحمام» بعد خروجى منه.. وتزور حجرتى بعد الذهاب إلى المعهد الذى كنت أدرس فيه، وترصد حركاتى طوال الوقت حين أكون موجوداً بالبيت..!

وبعد حوالى أسبوعين وجدتها تدخل علىَّ فجأة.. كان اليوم يوم أحد.. وكان كل من فى البيت نائماً بعد سهر طويل فى نوادى الليل.. وكنت دون غيرى اليقظ الوحيد بين أهل الكهف..!

قالت المسز «داى» (Dye) وهذا هو اسمها:

- أريد أن أعتذر إليك..! فقد لاحظت أنك الوحيد الذى يحافظ على نظافة البيت..! كنت أدخل الحمام بعد خروجك منه فأراه كأنه لم يستعمل قط.. وكنت أذهب لترتيب حجرتك فأراك سبقتنى إلى هذه النظافة وهذا الترتيب، وعرفت أنك الوحيد الذى يحافظ على نظام البيت ومواعيده بالضبط.

ولكن شيئًا واحدا يحيرنى ولم أفهمه حتى الآن..؟!

قلت للمسز «داى» مازحًا:

- وأى شىء هذا الذى يحيرك منى..؟!

قالت:

فى تمام الساعة الخامسة صباح كل يوم أسمع فى حجرتك حركة وأرى الأنوارَ مضاءةً.

فماذا يحدث عندك صباح كل يوم فى هذه الساعة المبكرة ؟!

قلت للسيدة «داى»:

فى هذا الوقت أقوم لأصلّى الفجر، وهى أول صلاة يؤدِّيها المسلم كل يوم .. وبعد الصلاة أجلس لأقرأ شيئًا من القرآن .. كتابنا المقدس .. ثم أتهيأ بعد ذلك للنزول إلى غرفة الطعام لتناول طعام الإفطار فى الوقت الذى حددتِه لنا بالضبط. !

لقد تبدلت المسز «داى» تبدلاً كاملاً منذ هذه اللحظة. كانت تعاملنى معاملة خاصة تعجَّب منها الأخ الأستاذ الدكتور عبد الجليل شلبى - إمام المركز الإسلامى فى هذا الوقت - حتى زوجها الرجلُ الغليظ المشاعر والحس، بدأ يُؤْثِرُنى بمودته التى كانت شحيحة حتى بالنسبة لأطفاله الصغار فى البيت... !

كان معنا فى البيت دارسٌ فرنسى اسمه «جون باسكال» أبوه من كبار رجال الأعمال فى فرنسا فى مدينة «بوردو» .. لقد دعانى ذات يوم إلى حجرته، وبعد كلمات المجاملة المعروفة وتقديم المرطبات والفاكهة سألنى قائلاً:

- هل تعرفنى..؟

- طبعًا.. فأنت فلان ...

قال: لا .. إننى أعنى شيئًا آخر..!

- قلت: ما هو؟

قال: أنا يهودى...؟

قلت: وما الغرابة فى ذلك؟ إننى كمسلم مطالَبُ بإحترام اليهودى والمسيحى، فدينى يأمرنى بأحسن المعاملة لأهل هاتين الديانتين بصفة خاصة...

أما إذا كنت تقصد ما بين إسرائيل والعرب فالقضية هنا مختلفة؛

فأنا كمسلم يأمرنى الإسلام بقتال اى رجل يريد أن يعتدى على حياتى أو مالى.. حتى لو كان هذا المعتدى مسلمًا؛ فإن الإسلام يطالبنى بأن أقاتله وأن أدفع ظلمه..

فالقضيةُ هنا ليست قضيةَ يهوديٍ ومسلم .. أو مسيحى ومسلم.. إنها قضية عدوان وظلم .. ودفع الظلم من طبيعة الإسلام .. سواء أكان المعتدى أو الظالم مسلمًا أو غيرَ مسلم..!!!

* * *

إن فى بريطانيا أكثر من مليونَىْ مسلم. وحوالَىْ ألف مركز إسلامى ومسجد، وهناك مئات المدارس والمستشفيات والمتاجر يديرها مسلمون من شتى الجنسيات، وفى أهم المدن فى لندن وفى «كارديف» وفى «برمنجهام» وفى «مانشستر» وفى «بلاكبورن» وفى «برادفورد» وفى «ليفربول» وفى «ليدز» وفى «بريستول».

وهناك مركز إسلامى كبير انشىء أخيراً فى جامعة «أكسفورد» وهو المركز الذى افتتحه الأمير «تشارلز» والقى فيه محاضرته الشهيرة التى انصفت الإسلام كدين وكحضارة ومَثَلٍ للتسامح والإخاء والعدل.

وفى البرلمان البريطانى أو مجلس العموم يوجد عضو مسلم . . كما يوجد فى مجلس اللوردات عضو آخر اسمه «اللورد أحمد»! وهو الذى ترأسَ بعثةَ «الحج» البريطانية فى هذا الموسم أى موسم عام ١٤٢٠هـ من هجرة النبى ﷺ.

فالطريق أمام الإسلام مفتوح وسهل وممهد، والناس فى بريطانيا وغيرها من شعوب أوروبا لا يعرفون عن الإسلام إلا القليل . . . وهذا القليل كَذِبٌ ومُحَرّفٌ ومُزيّفٌ!

فى حى (هامستد) فى لندن كنت أقيم مع أسرة إنجليزية.

وقد تعوّدْتُ فى أسفارى الطويلة أن أحمل معى تسجيلات المرحوم الشيخ «محمد رفعت»؛ ذلك أن صوته الملائكى فى بلاد «الغربة» وبخاصة فى أوروبا يغسل قلبك من كل هموم الدنيا.

وذات يوم وفى تمام الساعة السابعة والنصف نزلتُ إلى قاعة الطعام، كنت قد نسيتُ إغلاقَ المسجل . . ففرض الشيخ رفعت بصوته الأثيرى الربانى وجوده على كل من فى المنزل.

وفجأة التفتَ إلىَّ المستر (تيلر) صاحب البيت وقال بأدب:

ـ أظن هذا صوت أشهر مغن عندكم فى مصر . . . !

* قلت معتذراً: آسف. لقد نسيت إيقاف المسجل...

ثم قلت له: إن الذى تسمع صوته ليس مغنيًا.

إنه صوت أشهر قارىء للقرآن الكريم كتابنا المقدس فى مصر...

ـ وهنا سأل المستر (تيلر) وماذا يقرأ الآن...؟

* كان الشيخ رفعت يقرأ الربع الأول من سورة (مريم).. وما كدت أشرح للمستر (تيلر) ما يقرأه الشيخ رفعت حتى نهض واقفًا. وقال: هذه أول مرة أسمع فيها هذا الكلام... أفى كتابكم المقدس كل هذا التقدير والاحترام للمسيح وأمه؟.. إننى لا أكاد أصدِّقُ.. لقد علَّمونا فى الجامعات والمدارس عكس ذلك تمامًا.

* وما كِدْتُ أُكْمِلُ بقيةَ التفسيرِ لِما كان يقرأه الشيخُ رفعت حتى هتف قائلاً:

إذن.. فأنا مسلم ولا أدرى.؟!

سألته: كيف كنت مسلمًا ولا تدرى؟

أجاب المستر «تيلر» فى الوقت الذى جلست فيه زوجته تصغى وتسمع:

إننى أؤمن بالمسيح كما صوَّرهُ القرآن.. المسيح النبى والرسول.. لا المسيح الإله ولا ابن الإله..!

إننى اسمع هذا لأول مرة... فلم تكن لى أدنَى صلة بالقرآن

من قبل. وما رأيتُ مسلمًا حتى أقمتَ عندنا هذه المدة القصيرة فى البيت.

لقد أهديتُه نسخة من ترجمة معانى القرآن لـ «يوسف على» وكانت آخر مرة رأيته فيها - فى المسجد المركزى - وهو يصلى !!!

فى «كمبردج» (Cambridge) كنا نصلى الجمعة. فى كنيسة صغيرة اسمها «فيشر هاوس» (Fisher House).

فقد سمحَتْ إدارة الجامعة للطلبة المسلمين بأداء شعائرهم فى هذه الكنيسة التى لم يعد يدخلها أحد!

كنا نذهب إلى هذه الكنيسة قبل الصلاة بوقت كاف . . . فننقل التماثيل والصلبان إلى ركن بعيد عن اتجاه القبلة . . . ثم بعد الصلاة نُعيد كل شىء إلى مكانه.

لقد تعجَّب من هذه القصة زميلى السويسرى الذى كان يقيم معى فى شارع «هينتون»؛ فليس من المعقول أن يصلى مسلم فى كنيسة؛ إن هذا شىء غريب يسمعه لأول مرة.

وقد زادت دهشته حين أخبرته أن نبى الإسلام «محمد» كان يسمح للنصارى بالصلاة فى مسجده. فقال كمن يحدِّث نفسه:

لقد علَّمونا غير ذلك ... وصوَّروا الإسلام ونبيه كعدو للمسيح ... إن الكنيسة لم تكن عادلة فى حكمها على النبى محمد ﷺ .. كما لم تكن أمينةً حين علَّمَتْ إتباعها غير الحقيقة والصدق..!

منذ عشرين عامًا ظهر فى لندن كتابٌ اسمه «المسلمون قادمون»!

تخيَّل فيه المؤلف أن مشيخة الأزهر قد نقلت مقرَّها من القاهرة إلى «كاتدرائية سانت بول» (Saint Paul's Cathedral).

وإن «يوسف إسلام» أو «كات ستيف» المسلم البريطانى المشهور قد نُصِّبَ «خليفةً» للمسلمين فى كنيسة «وستمنستر أبى» (Westminster Abbey).

وأن مجلس العموم (The houses parliment) قد امتلأ بأمثال أبو حمزة المصرى وعمر بكرى!

مسكين «أنتونى برجس» مؤلف هذا الكتاب؛ لقد نَسِيَ أن المسلمين الذين يعنيهم غير موجودين أصلاً! لا شرقًا ولا غربًا!!!

* * *

٢١

شخصيات لا تُنْسَى

١ مالكولم أكس..

وُلد «مالكولم أكس» فى قلب المجتمع الأمريكى؛ حيث يعتبر الزنجى الأسود مخلوقًا منحطاً لا قيمة له، وقضى أكثر طفولته خادمًا لأسر أمريكية من البيض، تَلَقَّى تعليمه الابتدائى فى مدرسة للبيض فى مدينة (ماديسون) بولاية ميتشجان، ولكن معاملة البيض له زرعت فى نفسه بذورَ الحذر منهم وعدم الثقة بهم منذ حداثة سنه.

فقد سأله مُدَرِّس اللغة الإنجليزية مرةً عن نوع المهنة التى يرغب فى مزاولتها فى المستقبل، فأجاب مالكولم أكس: «المحاماة». إلا أن مدرسه نصحه بالعدول عن الفكرة والاتجاه نحو تعلم التجارة ومزاولتها.

هذا مع أنه كان دائمًا أحد الثلاثة الأوائل فى فصله؟!

ترك «مالكولم» ولاية ميتشجان فى صيف عام ١٩٤٠م وهو فى الخامسة عشر من عمره واتجه إلى مدينة بوسطن على الساحل الشرقى من الولايات المتحدة ليعيش مع أخت كبرى له هناك.

وكانت تلك الرحلة نقطة تحول هامة فى حياة مالكولم، كما يروى عن نفسه فى ترجمته الشخصية، لقد كانت رحلته نقلةً إلى

فصل آخر من فصول «مدرسة الحياة» التى كان مالكولم أكس تلميذاً من اشهر وأنجب تلامذتها.

دخل مالكولم المراهق - آنذاك - فى بوسطن عالَم الليل ينظِّف الأحذية فى النوادى الليلية ويغسل الصحون فى المطاعم والقطارات. كما دخلَ أيضاً عالم السوق السوداء والقمار والمخدرات وتجارة البغاء حيث يسود قانون الغاب، وحيث تُبنَى الحياةُ كلُّها على الخداع والممالأة والتحايل والمكر والدهاء .. دخل مالكولم ذلك الخِضَمَّ .. وأخذ نصيبه كاملاً .. ونزل إلى أعماق مواخير الحياة الأمريكية حتى صار مدمن مخدرات، مما دفعه إلى عالم الإجرام والسرقة، وانتهى به الأمر إلى السجن.!

فى داخل السجن استأنف مالكولم تعليمه بمجهوده الشخصى.

وفى داخل السجن تَعلَّم فن الخطابة والنقاش..

وفى داخل السجن أيضاً تعرَّف على الإسلام وآمنَ به، فكان ذلك أخطر تحوُّل فى حياته، وبدايةَ مرحلة جديدة شاء الله أن تستمر حتى انتقل مالكولم إلى ربه مؤمنًا مجاهداً مَرضِياً.

تعرَّف مالكولم على الإسلام عن طريق منظمة تدعو إلى الإسلام بين الزنوج فى الولايات المتحدة تسمى «دولة الإسلام» ويرأسها رجل يسمى «الايجا محمد» يدَّعى أنه رسول الله .. وأن الله سبحانه وتعالى - قد جاء إلى أمريكا فى هيئة رجل - فى عام ١٩٢٨م، ويسمى «والاس فارض»، وقابل «الايجا محمد» وحمَّله

١ مالكولم اكس..

وُلد «مالكولم اكس» فى قلب المجتمع الأمريكى؛ حيث يعتبر الزنجى الأسود مخلوقًا منحطًا لا قيمة له، وقضى أكثر طفولته خادمًا لأسر أمريكية من البيض، تَلَقَّى تعليمه الابتدائى فى مدرسة للبيض فى مدينة (ماديسون) بولاية ميتشجان، ولكن معاملة البيض له زرعت فى نفسه بذورَ الحذر منهم وعدم الثقة بهم منذ حداثة سنه.

فقد سأله مُدَرِّس اللغة الإنجليزية مرةً عن نوع المهنة التى يرغب فى مزاولتها فى المستقبل، فأجاب مالكولم أكس: «المحاماة». إلا أن مدرسه نصحه بالعدول عن الفكرة والاتجاه نحو تعلم التجارة ومزاولتها.

هذا مع أنه كان دائمًا أحد الثلاثة الأوائل فى فصله؟!

ترك «مالكولم» ولاية ميتشجان فى صيف عام ١٩٤٠م وهو فى الخامسة عشر من عمره واتجه إلى مدينة بوسطن على الساحل الشرقى من الولايات المتحدة ليعيش مع أخت كبرى له هناك.

وكانت تلك الرحلة نقطة تحول هامة فى حياة مالكولم، كما يروى عن نفسه فى ترجمته الشخصية، لقد كانت رحلته نقلةً إلى

فصل آخر من فصول «مدرسة الحياة» التى كان مالكولم أكس تلميذاً من اشهر وأنجب تلامذتها.

دخل مالكولم المراهق - آنذاك - فى بوسطن عالَم الليل ينظِّف الأحذية فى النوادى الليلية ويغسل الصحون فى المطاعم والقطارات. كما دخلَ أيضاً عالم السوق السوداء والقمار والمخدرات وتجارة البغاء حيث يسود قانون الغاب، وحيث تُبْنَى الحياةُ كلُّها على الخداع والممالأة والتحايل والمكر والدهاء .. دخل مالكولم ذلك الخضَمَّ .. وأخذ نصيبه كاملاً .. ونزل إلى أعماق مواخير الحياة الأمَريكية حتى صار مدمن مخدرات، مما دفعه إلى عالم الإجرام والسرقة، وانتهى به الأمر إلى السجن. !

فى داخل السجن استأنف مالكولم تعليمه بمجهوده الشخصى.

وفى داخل السجن تَعلَّم فن الخطابة والنقاش..

وفى داخل السجن أيضاً تعرَّف على الإسلام وآمنَ به، فكان ذلك أخطر تحوُّل فى حياته، وبدايةَ مرحلة جديدة شاء الله أن تستمر حتى انتقل مالكولم إلى ربه مؤمناً مجاهداً مَرضِياً.

تعرَّف مالكولم على الإسلام عن طريق منظمة تدعو إلى الإسلام بين الزنوج فى الولايات المتحدة تسمى «دولة الإسلام» ويراسها رجل يسمى «الايجا محمد» يدَّعى أنه رسول الله .. وأن الله سبحانه وتعالى - قد جاء إلى أمريكا فى هيئة رجل - فى عام ١٩٢٨م، ويسمى «والاس فارض»، وقابل «الايجا محمد» وحمَّله

رسالةَ الإسلام لنشرها بين السود فى أمريكا من أجل تحريرهم من قبضة «الشيطان» الذى هو الرجل الأبيض . . . !!!

كان مفهوم مالكولم للإسلام عند خروجه من السجن مبنيًا على ما وصله عن طريق الايجا محمد وأتباعه. وكان الايجا محمد شخصيًا يكتب الرسائل لمالكولم أكس أثناء فترة سجنه، ودخل مالكولم منظمة «دولة الإسلام» ليكون من أنشط رجالها العاملين. فقد كان إيمان مالكولم وحساسيته وشعوره القوى بالمشكلة يدفعه دفعًا للعمل ونشر الإسلام بين السود، وكان لحركته وقدراته ومؤهلاته التى اكتسبها فى السجن الدور الكبير فى جعله الرجل الثانى بعد الايجا محمد فى «دولة الإسلام»، وزاد عدد اتباع الايجا محمد عشرة أضعافٍ فى خلال ثمان سنوات بمجهودات مالكولم أكس وأنشطته.

وأهم من هذا وذاك أن مالكولم قد بدأ إذ ذاك يعرف حقيقة الإسلام الصحيح، وبدأ يتبين سمو هذا الدين، وأنه الطريق الوحيد لبناء مجتمع إنسانى راق، لا محل فيه لتفرقة عرقية، ولا استغلال فئة من البشر فئة أخرى، ووضحت لمالكولم أكس آنذاك تلك الشقة الهائلة بين حقيقة الإسلام، وبين تلك الدعوة الشوهاء التى يدعو إليها الايجا محمد باسم الإسلام وهى ليست من الإسلام فى شىء، وتفتحت فى مالكولمِ عندئذ رغبة أصلية وقوية فى معرفة هذا الدينِ معرفةً وثيقة؛ كى يُصلح ما ساعد على بنائه من حركةٍ زائفةٍ تتسمَّى باسم الإسلام.

وخرج مالكولم من الولايات المتحدة فى أوائل ربيع ١٩٦٤م، ميممًا شطر مكة وقاصدًا أداء فريضة الحج.

وكان الحج تجربةً هزَّت كيانه من الأعماق؛ فقد شهد فى عرفة ومنى ومكة حقيقةَ المساواة بين الناس التى ينادى بها الإسلام، ويطبقها المسلمون، وكتب إلى صديق له يقول:

«لقد شهدتُ هنا ما لم أحلم به من قبل فى حياتى.. لقد عشت أسبوعًا فى خيمة واحدة مع أناس كانت شعورهم أشد صفرة من الذهب وعيونهم فى مثل زرقة السماء، ولم ألمس شيئًا فى حديثهم يدل على أن كلمتى «أسود» و«أبيض» تعنيان بالنسبة لهم أى شىء أكثر من إشارتهم إلى اللونين اللذَيْن تدلان عليهما، ولقد تبينت أن ذلك إنما ينبعث من التربية التى يعلّمها الإسلام....».

قضى مالكولم أكس شهرين بعد الحج فى البلاد الإسلامية، يعمل جاهدًا على تعلُّم أكبر قدر ممكن عن الإسلام وتشريعاته التى يقوم عليها، وعاد إلى الولايات المتحدة، وكتب يقول:

«إن مهمتنا الأولى هى تحطيم ما أنفقنا عشر سنوات فى بنائه».

فقد هاله أن يكون عملُه السابق إنما يسهم فى إقامة ذلك الزيف الذى يتسمَّى باسمِ الإسلام ويخدِّر السود بأحلام عذبة، دون أن يكون وراءها شىءٌ من الحقيقة، وقد بدأ مالكولم أكس سعيه وجهاده فى هذا السبيل بتكوين منظمة أسماها «المسجد الاتحادى» تعمل على نشر الإسلام الصحيح وتَقصرُ نشاطها على البرامج الإسلامية الصرفة.

بلغ نشاط مالكولم اكس ذروته بعد عودته من الحج، وكانت طفرة هائلة تلك التى نقلت الفتى المتشرد الذى سار شوطًا واسعًا فى طريق الإجرام وجعلت منه ذلك الإنسان العملاق الداعى إلى الخير والهدى والطريق المستقيم. نعم إنها لطفرة واسعة تلك التى وصلت «بمالكولم اكس» إلى أن يكون تلميذًا من تلامذة معلم الخير محمد ﷺ.

وفى فبراير ١٩٦٥م وقف «مالكولم اكس» ليخطب داعيًا إلى الله .. فإذا بالرصاص ينهال عليه، ويخر «مالكولم» شهيدًا فى سبيل الله ؟!!!

* * *

فمن قتلَ مالكولم اكس؟؟ سؤالٌ تعرف إجابتَه السى.آى.إيه فى أمريكا؟!

* * *

٣ الأخت مرجريت

كنت قد تعرفت على هذه الأخت من خلال حوار دار بينى وبين أحد القساوسة الإنجيليكانيين في مدينة ستراتفورد .. ولم تَدَعِ الأختُ مرجريت هذه الفرصة تمرّ .. فقد احتفظت بعنوانى - حيث كنت أقيم فى هذا الوقت بعيداً عن الوطن الأم - وحرصَتْ على مكاتبتى فى كل ما يعترضها من شبهات تتصل بالإسلام وموقفه من قضايا العدل والحرية فى هذا العصر.

لقد اختارت الأخت مرجريت الإسلام، وانقطعت أخبارُها عنى .. حتى فوجئت بزيارتها لى قبل عشرة أعوام.

- لقد تحولتِ تحوُّلاً كبيراً يا أخت مرجريت..

قلت ذلك .. بعد أن رأيتها فى زى إسلامى سابغ، وفى سمتٍ دينىّ وَقور..

كانت مرجريت قد تزوجت من امريكى مسلم، ولم تنس ان تُطلق على ولديها اسمين عزيزين على قلب كل مسلمة ومسلم. لقد اختارت لولديها اسمى أحمد ومحمد...

أهذه مرجريت الإنجليزية؟ خريجة جامعة كمبردج؟ والفتاة التى انتزعت نفسها من حياة الليل فى أكسفورد ستريت Oxford Street، وماربل أرش (Marble Arch) وأوكار الكوكايين والحشيش فى محطات الأندر جراوند (The under ground).

لم أصدّق ما أرى بعينىَّ، لقد تداخلت فى عقلى الصور والقيمُ والواقعُ والمثل أمام هذه «البانوراما» الإسلامية التى اسمها مرجريت .. هذه السيدة المسلمة خريجة جامعة كمبردج.. وابنة الامبراطورية التى واجهت الإسلام - على امتداد قارات الدنيا - بشراسة وحقد..

ولكنه الإيمان حين يتمكَّن فيسمو بصاحبه عن الواقع الأليم .. وعن كل لحظة من لحظات العمر.

ألم يقل مولانا «محمد على» فى محاكمة كراتشى الشهيرة، وهو يواجه محلَّفين ليس بينهم مسلم:

«إن القصة ليست بين «محمد على» والحكومة .. إنها قضية الله مع البشر. والمشكل كله: هل سيكون السلطان لله على الإنسان أم للإنسان على الله؟

الله الذى وهبهم الحياة والشرفَ والعقيدةَ والجاه العقيدة والسلطان والقوة. تلك هى عقيدتى .. فاشنقونى إن شئتم .. ولكن اعلموا أنكم بذلك تنتحرون؛ إذ تقتلون أرواحكم.. ستكونون أجسادًا تتحرك بلا روح .. وجيفًا تُلْقَى طعامًا للغربان والكلاب..»!!

* * *

قلت للأخت مرجريت مواسيًا - وهى تحدثنى عن واقع المسلمين فى العالم كله -:

لقد تجاوزت هذه المحنة منذ اختيارك للإسلام.. وأذكر أننى صارحتُكِ بما تَشكين منه فى هذه الأيام .. والحمدُ لله ..
فالإسلام .. ليس دينَ أمَّةٍ معينة، ولا دينَ جنسٍ مُعَيَّن .. إنه دين الإنسانية جميعًا حيثُ وُجِدَت، وبأى لغةٍ نطَقَت، وليس فى الإسلام «كهنوتٌ» أو «إكليروس» أو رجال دين يمسكون بأيديهم مفاتيح السماء، أو يمنحون بركاتهم وغفرانهم لكل من يدفع الثمن من الأثرياء، ولكل من هبَّ ودبَّ فوق هذه الغبراء.

ألم يقل نبيُّنا محمد ﷺ لإحدى بناته فاطمة: «يا فاطمة اعملى، فإنى لا أملك لك من الله شيئًا!».

إننا جميعًا أحرار فى اختيارنا وفى إيماننا يا أخت مرجريت، وبمقتضَى هذا الإيمان والاختيار يتحدَّد موقفُنا أمام الله ... كما يتحدد وضعُنا ومكانتنا فى هذه الدنيا.

صحيح أن الواقع الإسلامى أليم... ومر... وأحوال المسلمين تُسىء ولا تسر... ولكننا - كما قلت - مسئولون أولاً عن أنفسنا ... ولو استقر هذا الإيمان واليقين فى قلب كل واحد لأمكنَ تغيير الكثير مما يعوق حركة الإسلام، ومما يُنسب إليه من تُهَمٍ تُسىء إليه فى كل مكان.

لقد بدأ الإسلام غريبًا ... وسيعود غريبًا كما بدأ.

* * *

إن بعض اليائسين يفسرون هذا الحديث تفسيرًا يتفق مع نظرتهم المتشائمة، أو وفقَ شهواتهم التى أخلدوا بها إلى هاوية سحيقة..

بينما يشير هذا الحديث إلى ظهور الإسلام فى بيئة مشابهة للبيئة التى نشأ الإسلام فيها أول الأمر؛ من حيث الغرابة النفسية، والوحشة الفكرية، ومن حيث التسامى عن كل مغريات هذه الدنيا، وما مثلُك ومثلُ شقيقاتك وأخَواتك فى الإيمان إلا حجة قائمة تنطق بهذه الحقيقة..!

وإذا كان العربُ والمسلمون قد انفرطَ عِقدُهم فى هذا العصر وشاهَتْ صورتُهم فى كل بلد وقطر ... فلَيس لأنهم دون البشر كما وصفتهم صحيفة الصن (The Sun)، بل لأنهم تخلَّوا عن إيمانهم الذى مكَّن الله ـ لهم ـ به ذات يوم .. ومن يدرى؟ فقد يمكِّن الله ـ للإسلام ـ على أيدى شعوب كانت من ألد أعدائه فوق هذه الأرض ....؟!

وداعًا يا أخت مرجريت ...

قلت لها ذلك ... وهى تستأذن فى الانصراف .. للحاق بالطائرة المتجهة إلى لندن حيث تعيش أسرتها هناك فى حى هادىء راق اسمه هامبستد (Hampstead).

لكن وداعًا لأى شىء؟

إن القضية ليست قضية مسلمين يتبادلان الرأى والنصيحة، بل هى قضية حياة أو موت بالنسبة لكل مسلم ومسلمة. «نكون أو لا نكون» كما يقول شكسبير على لسان هاملت فى مأساته المعروفة...

وهى مأساةٌ تتكرر كل يوم مع ألف ومائتى مليون من البشر

يمتدُّ وجودُهم الجغرافى من أقصى الغرب على شاطىء المحيط الأطلسى .. إلى أقصى الشرق على شاطىء المحيط الهندى.

وهى مأساةٌ تتجدَّدُ، وتتعدَّدُ ... وتختلف من بلد إلى بلد .. ومن قطر إلى قطر، ومن جماعةٍ إلى جماعةٍ، بل تكاد تعصف بكل فرد.

فى أوائل الأربعينيات من القرن الماضى، سافر الكاتب البريطانى المعروف (جورج برنارد شو) إلى (سنغافورة) على ظهر الباخرة. (The Impress of Great Britain)

فأجرى معه رئيس تحرير إحدى المجلات حواراً قال فيه:

ـ قرأت لك مقالاً فى صحيفة (Cosmopolitain) تمتدح فيه الإسلام، وأحب ـ الآن ـ أن أسمع رأيك فى الإسلام؟

ـ فأجاب: الإسلام دين الديمقراطية وحرية الفكر ... ودين البيع والشراء ... وفوق ذلك فهو دين الجنتلمان ..!!!

ـ قلت: فما الذى يمنعك من إعلان إسلامك إذن ... وأنت الاشتراكى الجنتلمان؟

ـ فقال: ازعم للناس أننى اشتراكى، ولكننى لا أدرى هل ما أزعم ويزعمون حقيقة أم لا؟. أما من حيث الجنتلمانية فلست جنتلمانًا ...!

ـ فضحكت وقلت: ولكنك فى أغلب كتاباتك تُعلِّم القارىء وتحضُّه على أن يكون جنتلمانا ..؟

ـ فقال: وكم مُعلِمٍ فى الدنيا يتبع تعليماته؟!!

إلا أن ها هنا أمراً مهما يجب أن أقوله.

- فسألته: وما هو ..؟

- أجاب: الإسلام شيء .. والمسلمون شيء أخر ... الإسلام حَسَنٌ، ولكن أين المسلمون..؟!

- قلت: إذن تعتقد أن المسلمين ليس لهم من الإسلام إلا الاسم. وهل تقارن المسيحية كنظام اجتماعى بالإسلام..؟

- أجاب: كلا، ليس فيما أعرف من الأديان، نظامًا اجتماعيًا صالحًا كالنظام الذى يقوم على القوانين والتعاليم الإسلامية..!!!

- قلت: ولكن هناك حركات تدل على أن المسلمين بدأوا يستيقظون.

- قال: وأين هذا؟

- أجبت: فى الشرق العربى.

- قال: هؤلاء جُلُّهُم من اصل عربى، وحَرَكَتُهم جنسية أكثر منها إسلامية؟!

- قلت: لا أظن ذلك .. ولكن ما رأيك؟

- أجاب: الإسلام لا يستيقظ إلا إذا عملَ المسلمون بصفتهم مسلمين فقط، وتجنَّبوا ما نسمية (الروح الوطنية) والغلوَّ فى القومية.!!

- قلت: فى أوروبا وامريكا مبشِّرون إسلاميون، فما رأيك فى هؤلاء؟

ـ أجاب: لا شك فى أنهم يستحقون العطف، إذ أننى لا أظن أن المسلمين يقدّرون التبشير بالإسلام كما يقدّر المسيحيون ـ على اختلاف مذاهبهم ـ التبشير بالمسيحية، فليس للمسلمين جمعية تبشير تضاهى أية جمعية تبشير لأى فرقة مسيحية..!!!

والذى قاله «برنارد شو» حق مائة فى المائة؛ فالمسلمون شىء... بينما الإسلام شىء آخر يختلف عن المسلمين فى كل شىء..!

والفارق كبير جداً بين جمعيات التبشير بالمسيحية وجمعيات الدعوة إلى الإسلام؟

* * *

٣ اعترافات «هيلدا»

اسمى «هيلدا» . . لم أكن فى حياتى متدينة، بل كنت ملحدة غير مؤمنة، وكنت أسخر من كل شىء يتَّصل بالدين . . غير أنى راجعتُ نفسى يومًا . . فلما أدركت فداحة خطيئتى . . ووجدت أننى أسرفتُ فى تحطيم نفسى . . رحت أبحث عن الخالق الذى أنكرته . . !!

كنت أدعوه أن يرحمنى وينقذنى . . ولكن . . أين هو الله الذى تصوِّره الكنيسة رحيمًا ومحبًا وعطوفًا . . . ؟

ولماذا يترك ضعيفةً مثلى تواجه كلَّ هذه الكوارث دون أىّ تدخل منه لإنقاذى . . ؟ ثم لماذا لا أرى هذه الرحمة وهذا العطف فى رجال الكنيسة أنفسهم . . ؟

لقد تزوجتُ أربع مرات وفشلت . . أكثر من مليون مارك ضاعت على موائد الخمر . . !!؟

وقد تحولتُ إلى بقايا إنسان يمشى على الأرض . .

وفجاةً رايتُ يدَ الله تمتد إلىَّ . . !!

كنتُ فى رحلة سياحية إلى القاهرة . . لقد صادفَ قيامى بهذه الرحلة قدوم شهر رمضان المقدس عند المسلمين . . وفى إحدى زياراتى لسوق خان الخليلى ـ الواقع بجوار مسجد الحسين ـ رأيت أروع منظر شاهدته العين . . !!!

رجال ونساء وأطفال وشيوخ وشبان يجلسون جميعًا فى انتظار مدفع الإفطار.

ما هذا الذى أراه..؟

إننا نقرأ ونسمع كثيرًا عن (صيامات) أخرى فى بعض الأديان .. لقد رأيت هذا فى الهند .. وفى أقطار أخرى بأقصى الشرق .. غير أننى لم أر مثل هذا المنظر .. ومثل هذا التآخى والورع فى وجوه الذين يتطلعون إلى المآذن فى انتظار سماع كلمة (الله أكبر)..!!

فأنا لا أتصور أن ينقطع إنسان عن الطعام والشراب هذه المدة الطويلة وفى جو قائظ شديد الحرارة كمدينة القاهرة..

لقد أدمنت الخمر حتى أنفقت كل مدخراتى عليها كما قلت .. وقد خسرت بسبب ذلك أسرتى وزوجى بعد أربع مرات وفشلت..!

فمن أين للمسلم هذه القوة التى ينتصر بها على هذه العاهات والعلل..؟

إنه الإسلام..! كلمة واحدة نطق بها مرافقى المصرى واسمه (أحمد) والذى استأذننى بضع دقائق يؤدى فيها صلاة المغرب..!!!

إنه الإسلام .... ولكن أين ...؟

فى صبيحة اليوم التالى كنت أتجه ومعى مرافقى (أحمد) إلى إدارة الأزهر الشريف .. وفى مكتب الأمين العام للدعوة نطقت بالشهادتين واصبحت منذ هذه اللحظة مسلمة يحرم عليها ارتكاب الفُحْش أو شرب الخمر..؟

لقد تبدلَّتْ حياتى منذ ذلك اليوم .. لم أعد (هيلدا) الضائعة فى ظلمات الليل..!!!

* * *

٤ جودى (JUDI) الأسترالية

لم تكن الساعة قد تجاوزت الحادية عشرة صباحًا، حين رأيتُ فتاةً تقتحم باب المركز الإسلامى فى شارع الكومنولث بمدينة سيدنى . .

لم تكن فتاةً عادية . . قامة شامخة . . وشخصية آسرة متحدية، وبالرغم من صغر سنها فقد كان والدها يقف بجوارها كتلميذ يطلب من معلِّمه الرحمة . . أو جندى ينتظر تعليمات قائده فى المعسكر أو الثكنة . . قالت:

اسمى (جودى) طالبة بالسنة النهائية فى المدرسة العالية بضاحية «ستراثفيلد»، أمَّا والدها فاكتفى بتقديم نفسه كموظف سابق فى جيش الخلاص الوطنى.

* * *

بعد كلمات المجاملة المعروفة قالت الآنسة: إننى فتاة حائرة لم أجد حتى الآن ما يطمئن إليه قلبى فى أى دين أو أية عقيدة.

حتى الإسلام . . صورته فى عقلى مشوشة، وما أراه أو أقرأه ينفرنى منه ومن المسلمين فى أية دولة . . ! غير أن صديقة لوالدتى كانت قد شاركت فى إحدى ندواتك، فنقلت إلى والدتى صورة تختلف تمامًا عمّا ينشر ويقال عن الإسلام هنا فى أستراليا . . لهذا جئت لأعرف منك الحقيقة . . .

ـ ستجدينى عند حسن ظنك. لكن ماذا عن والدك؟ أليس من اللائق أن نعرف رأيه؟ إن مكانة «الوالدين» فى الإسلام تأتى بعد الإيمان بالله ورُسُله .. وهنا كانت المفاجأة..! لقد اعترف المستر (دونالد) بأنه ملحد..

فجأة دقَّ جرسُ التليفون .. كان المتحدث على الطرف الآخر من الخط القس البروتستانتى (مارك)، كان يسألنى عن حكم الإسلام فى الانتحار، وبخاصة بعد هذه الضجة التى أثارها بعض علماء النفس والاجتماع على صفحات جريدة «سيدنى مورننج هيرالد» بإباحة الانتحار، وتقرير حرية الاختيار للإنسان فى الحياة أو الموت ..

قلت للأب (مارك): أعتقد أن نظرة الإسلام إلى هذه القضية لا تختلف كثيراً عن نظرة المسيحية؛ إن حياة الإنسان ليست ملكًا له .. حياته كلها: روحه، جسده، عقله، فكرُه.. وكل قطرة دم تجرى فى عروقه أو ينبض بها قلبه، كلُّها مِلكٌ لله خالقه .. ومن الطبيعى أنه لا يجوز لأى إنسان أن يتصرف فى مِلك غيره إلا بإذنه، ولأن الله لم يخلق هذه الحياة عبثًا .. ولم يتركنا فيها سُدًى، فقد بعث الله الرسل وأنزل الكتب؛ ليبين للناس ما يجب عمله، وما يجب تركه، وليحصِّن حياة هؤلاء الناس بالإيمان الذى يواجهون به الشدائد، ويضمدون به جراح المصائب.

إن الإيمان هو الروح التى تضبط سير الحياة فى هذا الكون، كما تضبط حركة الحياة داخل الإنسان الذى استخلفه الله فوق هذه

الأرض، فإذا ذهب الإيمانُ اضطربت حركة الحياة فى هذا الكون، وسيطرَ الخوفُ والقلق على كل كائن حىّ.. ومن هنا يفكر بعض الناس فى الانتحار أو الموت...!!

* * *

ما كدتُ أعيد سمّاعة التليفون إلى مكانها حتى رأيت المستر (دونالد) قد انكفأ على نفسه وبدا كشبح ..! أما ابنته الآنسة (جودى) فقد تسلمت منى الإجابة على أسئلتها التى أصرّت أن تكون مكتوبة حتى تعود إلى مراجعتها فى البيت .. ثم انطلقت ـ ومعها والدها ـ فلم أعد أسمع عنها أى شىء..

* * *

بعد خمسة عشر يومًا بالضبط كنت أغادر القطار فى المحطة الرئيسية بمدينة سيدنى متجهًا إلى المسجد، وما كدتُ أضع قدمى على رصيف المحطة حتى فوجئت بالآنسة (جودى) ووالدها ينزلان من قطار آخر فى الوقت نفسه. لكن المفاجأة الأكبر كانت فيما يحملان بين أيديهما من كتب.. لقد كانت الآنسة (جودى) تحمل معها كتاب (لماذا اخترنا الإسلام؟)، أما والدها فكان يحمل نسخة مختصرة لترجمة معانى القرآن..!!

* * *

إن المكالمة التليفونية التى وقعت مصادفة مع القس (مارك) عن العلاقة بين الانتحار والإلحاد، قد زلزلت كيان الأب، والإجابة التى حملتها ابنته معها إلى البيت كانت قد أشعلت شرارة الإيمان فى القلب، وها هو ذا المستر (دونالد) يعود فى صورة أخرى تختلف عما كان عليه من قبل ..!!

لقد رجعت إليه الطمأنينة والسكينة، فعادت الحياة إليه فى أبهى وأجمل صورة، ثم جلس وابنته يسألاننى عن الصلاة، وكيف يؤديانها أفراداً أو فى جماعة ..

إن «جودى» لم تعد متمردة، وإن أباها الملحد لم يعد ملحداً.

* * *

٥ الأخت كاترين الهولندية

أقلعت بنا طائرة الخطوط الملكية الهولندية من مطار بومباى فى الهند فى طريقها إلى كولمبو، وإلى جاكارتا عاصمة إندونيسيا، كانت الساعة تقترب من الثامنة صباحًا حين أقبلت المضيفة، لتضع أمام مقعدى طعام إفطارٍ ساخنٍ تتصوغ رائحته بأفاويه الهند..!

وانتظرتْ الميضفة لتسألنى عمّا إذا كنتُ أريد شيئًا آخر..

قلت لها مبتسمًا: ارفعى هذا كلّه، وخُذيه معك..!

كادت المضيفة تُصعق.. وارتجَّ عليها، فلم تنطق..!

ومن ثم.. لم يكن بُدٌّ من تعليل موقفى، الذى سبب لها كل هذا الانزعاج والحرج..

قلت للمضيفة كاترين:

«إننى صائم»...

قالت: إذن أُحضِر لك بعضَ الفاكهة..!

لم تكن تعرف المضيفة «كاترين» أننى مسلم... وأن الصوم عند المسلمين يعنى الامتناع عن كل ما يؤكل أو يُشرب.. وربما خطرَ ببالها أننى من «النباتيين» الذين لا يأكلون اللحوم، أو من المسيحيين الذين لا يأكلون اللحوم فى أيام الصوم.

قلت لها موضحًا:

ـ إن الصيام عندنا ـ نحن المسلمين ـ يعنى الامتناع عن تناول أىِّ شىء يدخل الفم من أول ضوء من مطلع الفجر إلى آخر ضوء بعد غروب الشمس.

ـ ثم عادت تسأل: وهل المرأة تصوم مع الرجل طوال اليوم؟

ـ أجل يا آنسة «كاترين»؛ فليس الإسلام أو الصيام خاصًا بالرجل دون المرأة، وليست العبادات وقفًا على الذَّكَر دون الأنثى؛ إن المرأةَ والرجلَ سَواءٌ فى كل عبادة، وفى كل عمل صالح يَنهَضُ بالمجتمع والأسرة، وفى كل خير ينفع الناسَ فى الدنيا والآخرة.

قالت المضيفة: إننى أسمع هذا لأول مرة، لم أكن أعرف عن الإسلام هذه الصرامة فى تهذيب النفس، أو هذه الشدة فى تربيتها على هذا النحو.

قلت للآنسة «كاترين»:

ـ إن كل عبادات الإسلام تستهدف علاج هذه النفس، وتخليصها من كل مظاهر الضعف أو النقص.

هناك الصلاة التى يؤديها المسلم أو المسلمة خمسَ مرات فى اليوم..

إن هذه الصلاة مِعراجٌ روحِىٌّ يلتقى فيه المسلم بربِّه فى مناجاة صادقة على مدى ساعات النهارِ أو الليل.

وهناك الزكاة.. وهى انتزاعُ النفس من ظلمات الأَثَرَة التى تهبط بالإنسان إلى درك وحش الغابة فى الاقتناص والصيد.

ثم الحجُّ وهو رحلةٌ إلى الله يتجرَّد فيها المسلمُ من كل شىء؛ لتعود نفسه ـ كما كانت ـ يوم مولده مُطَهَّرةً من أى ذنب..!

* * *

وفجأة اختفت المضيفةُ تلبيةً لنداء صادر من قائد الطائرة، ثم عادت بعد حوالى خمس عشرة دقيقة لتسأل عن أى كتاب يفيدُها فى التعرُّف على الإسلام عقائده وشعائره..

إن فى حياتنا أسراراً يعجز عن فهمها جبابرة العقل.. وإلا كيف نفسر أحداث هذا اللقاء فى رحلة عابرة إلى أقصى الشرق؟ وكيف يكون معى الكتاب الذى تسأل عنه (المضيفة) المتلهفة إلى معرفة الحقيقة والحق..؟؟

بعد عامين من هذا اللقاء.. تسلمت رسالة من «آمستردام» AMESTRDAM، لم تكن رسالة بالمعنى الحرفى لهذه الكلمة. ولم تكن كلماتُها حروفًا مرصوصةً فوق ورقة.. كانت عباراتها تشع نوراً وشفافية، لم أنتظر حتى أكمل الرسالة.. انتقلت بعينى وأحاسيسى إلى توقيع المرسل فى النهاية.. إنها «كاترين» سابقًا.. بعد أن أسلمت واختارت لنفسها اسم (فاطمة)..!!

وعُدْتُ بذاكرتى إلى الوراء لأكثر من عشرين عامًا..

كنت أجلسُ فى مدخل المركز الإسلامى بمدينة لندن.. دخلت علينا فتاة تحمل فى يدها سلةً من الخَيْزُران الملوّن، كان اسم هذه الفتاة (جيليان) GULIAN، وكانت مثل (كاترين) هولنديةً أيضًا، وكما اختارت (كاترين) لنفسها اسم (فاطمة) فقد اختارت «جيليان» لنفسها اسم (خديجة)..!!

هل تعلمون ماذا تفعل فاطمة الآن..؟ لقد شاءت أن تكون مدرسةً لأطفال المسلمين بعد أن تركت وظيفتها السابقة.. أما (خديجة) فتعمل أستاذاً زائراً فى بعض جامعات أوروبا.. لتدريس العقيدة الإسلامية..!!

* * * * *

فهرست الموضوعات

الموضوع	الصفحة
١٥- كلمة حق	١٢٣
١٦- الغرب فى طريقه إلى الموت	١٢٥
١٧- الفراغ الروحى الذى يعيشه الغرب	١٣٥
١٨- التحدى الحقيقى الذى يواجه الغرب	١٤٣
١٩- مفاجأة فى ريجنت بارك	١٤٩
٢٠- مجموعة كامبردج	١٥٣
٢١- شخصيات لا تنسى	١٦١
١- مالكولم أكس	١٦١
٢- الأخت مارجريت	١٦٦
٣- اعترافات هيلدا	١٧٣
٤- جودى الأسترالية	١٧٦
٥- كاترين الهولندية	١٨٠

رقم الايداع
٨٣٤٨ / ٢٠٠٤

الترقيم الدولي
977-241-572-0
I.S.B.N

